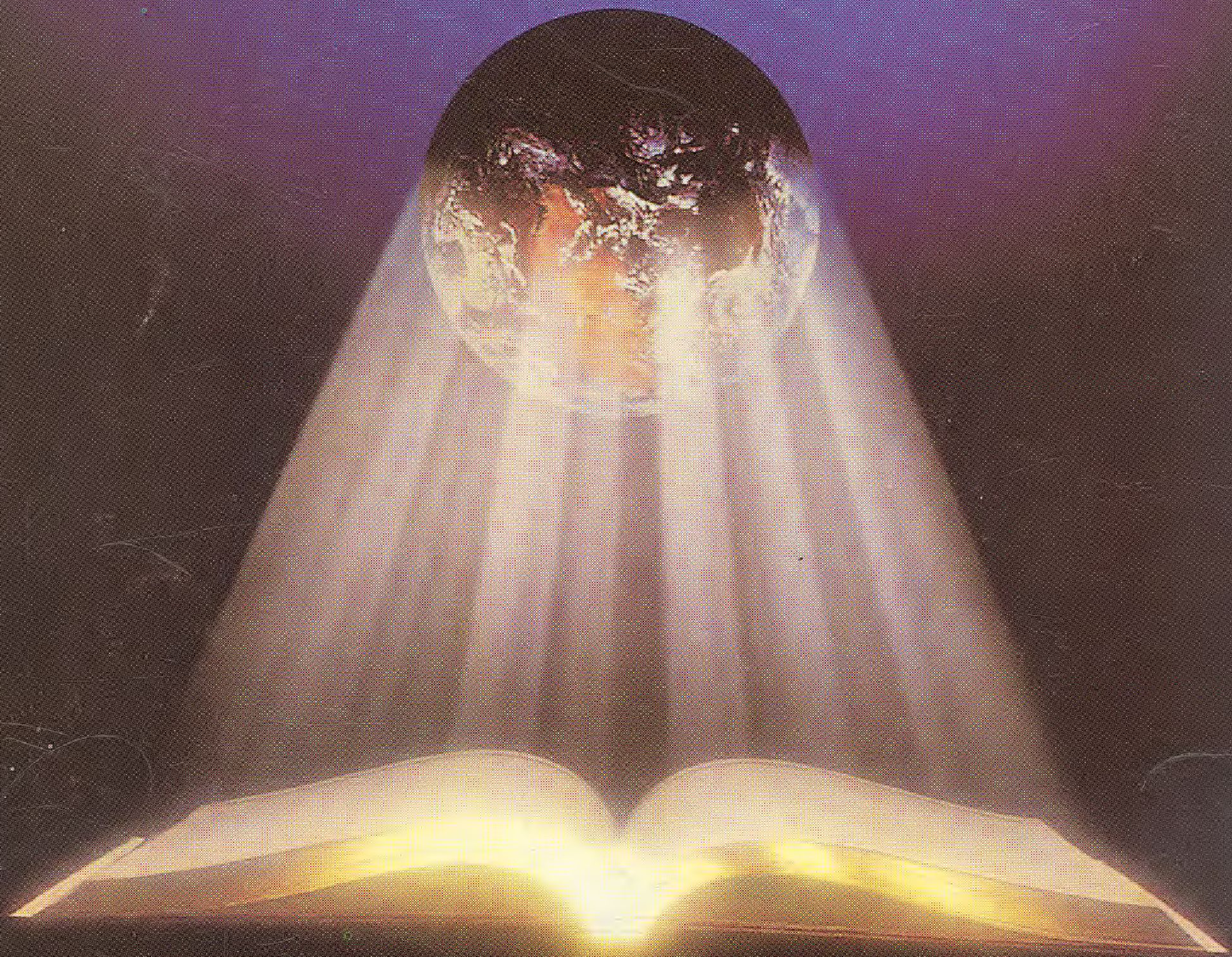
تجسد الكلمة



القديس اثناسيوس الرسولى

تجسد الكلمة

للقديس أثناسيوس الرسولي

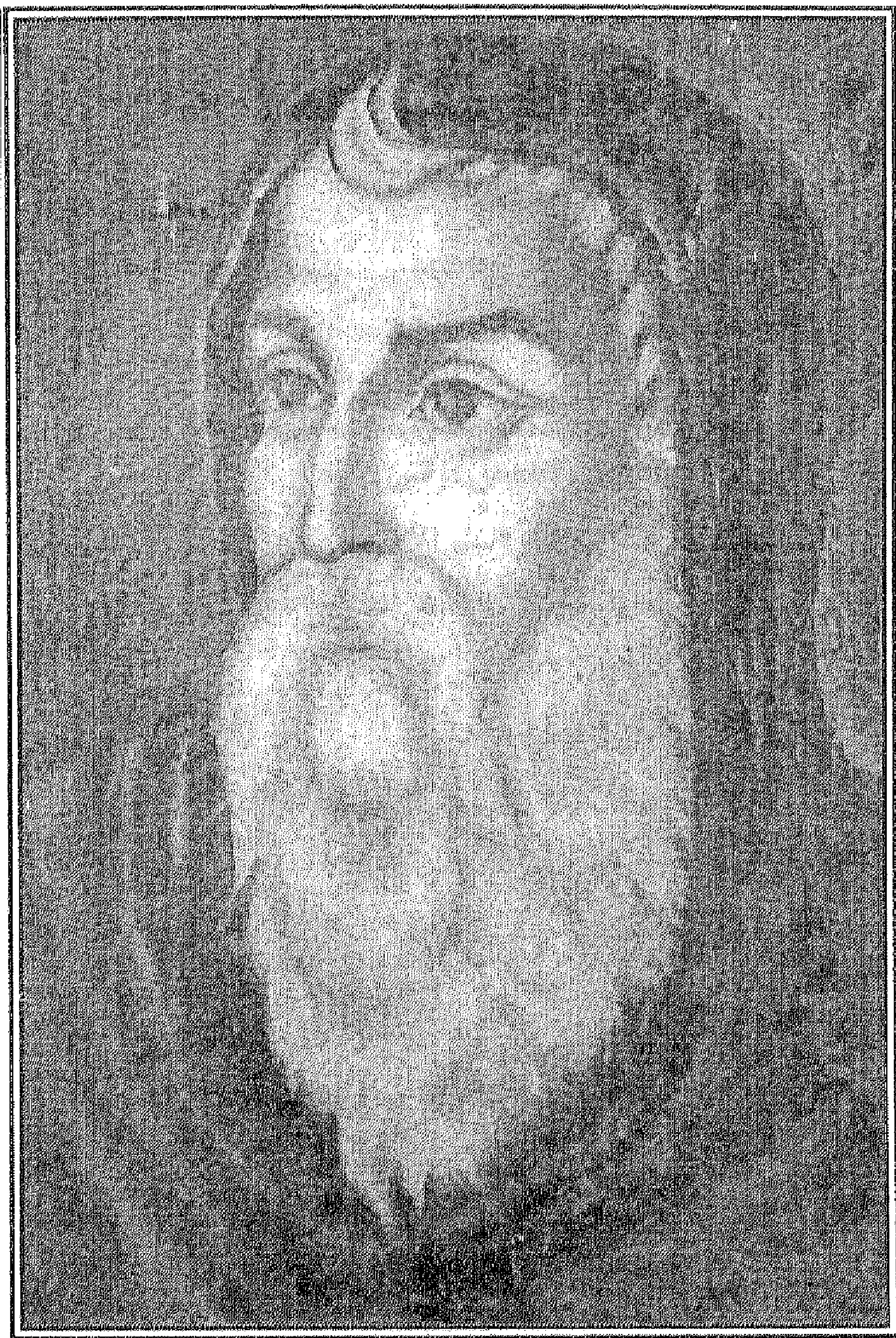
نقله إلى العربية

القمص مرقس داود

الطبعة التاسعة

إسم الكتاب: تجسد الكلمة
المؤلف: القديس أثناسيوس الرسولي
﴿الملقب بحامي الإيمان﴾

المعرب: القمص مرقس داود
الناشر: دار النشر الأسقفية
٣٠ ش شبرا ص.ب. ٤ قصور الشوام-شبرا
ت/٧٦٦٧٠٢ فاكس/٥٧٩٠٨٤٨
الطبعة: التاسعة
المطبعة: أوتو برنت ت/ ٥٨٧١٠٠٢
رقم الإيداع بدار الكتب : ٧٨/٥١٩٨
الجمع التصويري والاخراج الفني
بدار النشر الأسقفية



مقدمة الكتاب بقلم المترجم

برز في الكنيسة القبطية، في العصور الأولى خاصة، بعض الأبطال الذين كانوا نورًا وبركة لأجيالهم و الأجيال اللاحقة.

تجلت في هؤلاء الأبطال بعض الصفات البارزة، كالإيمان الذي لا يقهر، والصراحة في القول، و النضال والدفاع عن الحق، والمقاومة حتى الدم، وهذا ما اشتهر بها أثناسيوس الذي كرّس كل جهوده وحكمته وأوقف كل حياته للدفاع عن الحق دفاعًا مجيدًا لا يدانيه فيه أي عظيم، حتى خلعت عليه الكنيسة بحق لقب "الرسولي"، ويكفي أن نذكر في هذا الصدد أنه لما تألبت عليه كل القوات، ووقف وحده في جهاده، قيل له:

"أما تبالي بأن العالم كله صار ضدك، فقال قولته المأثورة

«وأنا صرت ضد العالم»

ولد أثناسيوس عام ٢٩٧ م من والديْن شريفين، وعرفه الإسكندر بطريرك الإسكندرية إذ كان لا يزال صبياً صغيرًا. ولما توسم فيه علامات الذكاء والنبوغ قرّبه إليه. وعُني بتهذيبه، ثم عينه شماسًا فرئيس شمامسة فسكرتيرًا كاتمًا لأسراره. وقبل وفاة البطريرك عام ٣٢٦ م أوصى بألا يخلفه سوى أثناسيوس فقبلت الكنيسة مشورته.

تبارى الكُتاب في وضع المؤلفات الممتعة عن حياة هذا البطل العظيم حتى أنها لتحصى في الغرب بالمئات. أما ما كتب عنه باللغة العربية فإنه دون أصابع اليد الواحدة. وأما مؤلفاته فلم يظهر شئ منها باللغة العربية.

ويوجد سجل ضخم بالإنكليزية يحوي وصفًا ممتعًا لسيرة هذا القديس، كما تضّمن مؤلفاته ورسائله وتبلغ ثلاثًا وثمانين، فعُرِّبت منها هذه الرسالة. ولا يحسبنّ

القارئ حين قراءتها أنه سيجد فيها موضوعًا سلس القراءة سهل الفهم. فإنها تبحث في موضوع لاهوتي عميق يحتاج إلى دقة التأمل وإلى دراسة مستفيضة وحسبنا أن نقدم إلى القراء هذه الرسالة كعيّنة للمؤلفات الدقيقة والأبحاث القيّمة التي وضعها الأباء الأولون، والتي تدل على مقدار ما وصلوا إليه من قوة الحجة وبلاغة المنطق.

ولعل هذه الرسالة -كما شهدت الترجمة الإنجليزية التي نقلتها عنها- من ألزم ما يحتاج إليه العصر الحاضر الذي كثر فيه المتشككون، وتعددت الشكوك حول تجسّد المسيح، وما يتصل بالتجسد من حقائق لاهوتية.

فإلي القدير نرفع ابتهالاتنا بأن تكون لها النتيجة المرغوبة نحو إزالة هذه الشكوك، وإعادة المتشككين إلى بساطة الإيمان.

وفي نشر هذا الكتاب لا يسعني إلا أن أقدم خالص شكري للسيد الأستاذ نجيب ميخائيل ساعاتي القدسي، أحد علماء الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية بالإسكندرية، الذي راجع الترجمة العربية على الأصل اليوناني حتى لا يتأثر المعنى بسبب تعدد الترجمات، ثم أُقدم عظيم تقديري لدار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية التي تكرمت بنشره.

القس مرقس داود

مقدمة الترجمة الإنجليزية

لابد أن تكون الرسالة ضد الوثنيين[1]* (التي كتبها القديس أثناسيوس)، قد بعثت في القراء شعورًا بضرورة تجديد الحياة بواسطة كلمة الله كعلاج لفساد الطبيعة البشرية وسنرى في الصفحات التالية كيف تحققت هذه الضرورة في التجسد.

أما الغرض العام من هذه الرسالة ﴿تجسد الكلمة﴾ فهو إيضاح و تأكيد عقيدة التجسد، وذلك بإظهار الأمور الآتية:

١. ضرورتها وغايتها.

٢. تناسق تفصيلاتها.

٣. حقيقتها رغم اعتراضات اليهود والوثنيين.

٤. نتائجها.

وتبدأ هذه الرسالة بمراجعة عامة لعقيدة الخليقة، ومركز الإنسان فيها، وفي ذلك يلخص ما سبق أن كتبه في الرسالة ضد الوثنيين فصل (٢-٧)، فلقد أدت إساءة استعمال الإنسان لامتيازه الخاص إلى فقد ذلك الامتياز، وإذ تغاضى عن الحياة الإلهية دخل في دور الفناء والهلاك، الذي لا يستطيع أن يخلصه منهما سوى واهب الحياة الأصلي (فصل ٢-٧)، عدا ذلك نرى وصفًا بليغًا جدًا عن تجسّد كلمة الله، وتأثير ذلك التجسّد ضد وباء الفساد (فصل ٨: ١٠).

لقد نال البشر أيضًا مع الحياة الإلهية موهبة العقل في أسمى درجاته مشابهين بها الطبيعة الإلهية، وذلك بقصد معرفة الله، على أنه بسقوطهم أفسدوا هذه المعرفة وعكسوا القصد منها. وإذ أغفلوا حتى الوسائط التي أراد الله بها أن

[1]* الرسالة ضد الوثنيين ترجمها القمص مرقس داود إلى العربية — الناشرون

يذكرهم بنفسه، توغلوا أكثر فأكثر في السقوط في مذهب الماديين، وما إليه من الخزعبلات، فلإعادة الصورة التي شُوِهت لم يكن هنالك بد من إيجاد الأصل، إذ أن الإنسان خُلق على صورة الله. ولذلك تنازل الله بصورة تتمشى مع إدراك الإنسان المحدود الإحساس، والكلمة أخذ جسدًا، وصار في متناول إحساس البشر، حتى يعلن غير المنظور بواسطة المنظور (فصل ١١-١٦).

وبعد أن أوضح معنى التجسد وغايته (فصل ١٧-١٩)، تقدم ليتحدث عن موت ابن الله المتجسد وقيامته من الأموات. فإن الذي يستطيع وحده أن يجدد صنعته، ويعيد الصورة التي منحها للبشر، ويبعث من جديد معرفة الله التي وهبها لهم، ينبغي لكي يوفي الديْن الذي جلبه الجميع على أنفسهم، أن يموت عوضًا عنا، مقدمًا الذبيحة عن الجميع، ولكي يقوم ثانية من ظلمة القبر كباكورة لنا (فصل ٢٠-٣٢، أنظر خاصة فصل ٢٠) وبعد أن تحدث عن الصليب، الذي كان علامة للعار، وأما الآن فهو علامة النصر كأنسب وسيلة، وبعد أن ذلل بعض الصعوبات الخاصة بكيفية موت الرب، انتقل إلى التحدث عن القيامة. فهو يرينا كيف أن المسيح بانتصاره على القبر أبدل سلطان الموت وعلاقته بالحياة (فصل ٢٧)، وكيف أن القيامة بنتائجها الخطيرة والعظيمة الأهمية كان لابد أن تعقب تجسّد ذاك الذي كانت فيه الحياة (فصل ٣١).

بعد ذلك نرى أثناسيوس يحارب بدعتي الإلحاد الرئيسيتين اللتين كانتا منتشرتين في عصره. كانت علة عدم الإيمان في كلتا البدعتين من الوجهة الأدبية. فالعلة مع اليونانيين كانت فظاظتهم وشراستهم، ومع اليهود كان عنادهم الذي تأصل فيهم وهنا نرى أثناسيوس يحاج اليهود (فصل ٣٣-٤٠)، أولاً من كتابهم المقدس نفسه (التوراة أي العهد القديم) الذي تنبأ عن مجيء المسيح تفصيلاً

وإجمالاً. ثم بيّن أيضًا أن النظام اليهودي القديم -سواء من الجهة الدينية أو المدنية- قد زال وعبر، مفسحًا المجال لكنيسة المسيح.

من ثم وجه الحديث إلى اليونانيين (فصل ٤١-٤٥)، مسلمًا بأنهم يعتقدون بوجود روح يسود العالم، ضابط لكل شيء، وحثهم على أن يرفضوا بلا تردد تلك العقيدة التي يدينون بها، وهي إتحاد هذا الروح (أي الكلمة) بأحد عناصر الكون (فصل ٧: ٩)، ولما كان الإنسان وحده (فصل ٤٣:٣)، دون سائر المخلوقات هو الذي خرج عن نظام خلقته، فكان لابد من أن يأخذ "الكلمة" طبيعة الإنسان ويتحد بها، ولكي يسد الثغرة التي فتحت بين المخلوق والخالق في نفس الجهة التي حدثت فيها.

لم يشأ الله أن يجدد الإنسان بمجرد نطق ملكي كريم (فصل ٤)، لأنه كما أن التوبة من جانب الإنسان لم تستطع أن تستأصل مرضه (فصل ٧)، كذلك كان يستلزم النطق الملكي الكريم من جانب الله أن يلاشي الطبيعة البشرية، ويخلق جنسًا جديدًا. لذلك أتى الله بعلاج لمرض الإنسان إذ غلب الموت بالحياة. وبذلك استطاع الإنسان مرة أخرى -أن يعلن- مع سائر المخلوقات صنعة يد خالقه ومجده.

من ثم واجه أثناسيوس اليونانيين ببعض الحقائق كما فعل مع اليهود. فمنذ مَجيء المسيح بدأت العبادة الوثنية العامة والفلسفية - تضمحل وتتلاشى. ثم بين أوجه الخلاف بين ضعف المعلمين الفلاسفة ومنازعاتهم، وأخلاقهم غير المتجانسة، وفساد تعاليم العبادات القديمة من جهة، وبين وحدة قوة ديانة المصلوب من الجهة الأخرى. وهكذا أبرز للناس هذه التعاليم الحيّة وتلك المائتة. ولم يبق لهم إلا أن

يروا ويذوقوا لذة هذه الحياة التي يهبها المسيح للذين يتبعونه (فصل ٤٦ إلى النهاية).

إن القصد من هذه الرسالة (وكذا الرسالة إلى الوثنيين) هو التمهيد لديانة المسيح لتكون أكثر قبولاً. ويكاد يكون البحث فيها مقتصرًا على التجسد كحقيقة جوهرية، وعلى مركز التجسد بالنسبة لسياسة الله نحو الإنسان، أكثر مما تبحث فيه كعقيدة لاهوتية.

ولم يشأ أثناسيوس أن يعالج (في هذه الرسالة) تلك المسألة التي كثر الجدل واللغط حولها في الإسكندرية في القرن السابق، ألا وهي بنوية الكلمة وعلاقته بالله الآب.

كذلك لم يشأ أن يمس المشكلات الخاصة بلاهوت المسيح التي قامت على أثر سكون العاصفة الآريوسية، والتي كانت تقترن بأسماء أبوليناريوس وتيودور، وكيرلس ونسطور، وأوطاخي، وتيودوريت، وديوسقوروس. ولكننا نراه يمسك بناصية تلك الحقائق الخلاصية، الأمر الذي أبرزه كأنه هو الشخص المعين للقضاء على البدعة الأريوسية، والذي مكّنه من أن يرى، عن بعد وعن غير قصد، تلك المشكلات اللاهوتية التي أتعبت الكنيسة طوال القرن التالي، لوفاته.

ومما يجعل للموضوع أهمية لدى قراء العصر الحاضر، هو كيفية معالجته إياه بعقله الراجح من كل وجوهه، أي فيما يتعلق بالله وبالطبيعة وبالخطية. ومما يلذ لنا معرفته أن البراهين التي يقدمها أثناسيوس ليست تعسفية أو استبدادية كتعاليم العصور الحديثة والمتوسطة عن الفداء، فإن تعاليم الكنيسة الأولى فسّرت التجسّد على أنه سرّ التقوى بعبارات إن جاز لنا القول إنها دون قوة وبلاغة تعاليم بولس الرسول، فإنها على أي حال خالية من روح التعسف والتحكم. ثم هي تُصور لنا

الطبيعة البشرية تصويرًا حقيقياً، كما تقدم لنا أسمى التعاليم والأفكار عن الله، ولعل هذه الرسالة أشد لزومًا وأعظم تقديرًا في عصرنا الحاضر، منها في أي عصر سبق، منذ حياة كاتبها إلى الآن. من أجل ذلك قد يكون من الواجب أن تكتب كلمة أو اثنتان عما امتازت به هذه الرسالة في مرماها وأسلوبها. وأول ما نلاحظه هو كيف أن الكاتب ركّز كل قواه ومواهبه في موضوع بحثه، لذلك لم يكن هينًا أن نستنتج شيئًا من إغضائة الطرف عن أمور قد يرى القارئ أنها كانت تحتاج إلى شرح، أثناء بحثه، إذ أنه لم يخط حرفًا واحدًا عن التثليث أو الروح القدس. وهذا راجع إلى غرض الرسالة تبعًا للقاعدة العامة، وهي إنه ما دامت الكنيسة تبشر العالم بالمسيح، فإن وظيفة الروح القدس وشخصيته يتعلقان بحياتها الداخلية.

أما الأمر الثاني الذي نلاحظه، فهو بحث هذه الرسالة في تركيب الإنسان. ويظهر أن أثناسيوس ينسب نفس الإنسان العاقلة وخلوده بعد الموت (فصل ٣ مع ١١: ٢- وفصل ١٣: ٢) ليس إلى تركيب الطبيعة البشرية، بل إلى النعمة التي أولاه إياها الخالق، النعمة التي كوّنت الإنسان بفضل قوة الكلمة، والتي لو لم يكن الإنسان قد خسرها بخطيته، لوهبته امتياز الخلود. لذلك لنتأمل مليًّا ولنبحث بالتدقيق، عما إذا كان أثناسيوس قد عنى أو قصد أن يقرر أن الإنسان بطبيعته وبدون اتحاده بالله عاقل أو خالد، فإن دققنا البحث في الرسالة التي نحن بصددها أمكننا أن نجد بعض الأدلة للإجابة عن هذين السؤالين بالنفي.

على أننا إذا رجعنا إلى ما كتبه أثناسيوس في الفصلين ٣٢ و ٣٣ من رسالته ضد الوثنيين، اِتضح أنه يقرر أن النفس عاقلة وخالدة. ولهذا كان واجبًا أن نجد تفسيرًا لما كتبه عن هذا الموضوع في هذه الرسالة التي نحن بصددها.

أما فيما يتعلق بالخلود فيجب أن نلاحظ:

١. أن اللهجة التي استعملها في (فصل ٤:٥)، تفرض وجود حالة مستمرة أو بمعنى أوضح حالة بعيدة عن الفناء.

٢. أن صورة الله لا تمحى مطلقًا حتى من أشر البشر، ولكنها تُشوّه فيهم (فصل ١٤: ١ ... الخ)، وحتى إن فقدت النعمة (فصل ٧: ٤)، فالإنسان لا يمكن أن يصل إلى الحالة التي يصبح فيها كأنه لم تكن له علاقة بالله مطلقًا.

٣. إن أثناسيوس في هذه الرسالة كما فعل بولس في كورنثوس الأولى الإصحاح ١٥ لم يشر إلى المصير النهائي للأشرار سوى إشارة عابرة في (فصل ٥٦:٣).

٤. يضاف إلى هذا أن أثناسيوس جمع معًا كل ما يفصل الإنسان عن المخلوقات غير العاقلة.

ومما يلاحظ أيضًا أن أثناسيوس لم يبحث بالتفصيل موضوع الدينونة العامة مع أنه واضح جدًا (أنظر الرسالة ضد الوثنيين فصل ٣٣)، أنه لم يشترك في آراء بعض الكتاب السابقين الخاصة بعقيدة الخلود المقترن بشرط، كما لا يوجد أي دليل على أنه كان يدين بعقيدة الخلاص الشامل[1]*، التي نادى بها بعض علماء القرون الأولى.

أما عن رأيه فيما يختص بأن الإنسان عاقل (الرسالة ضد الوثنيين ٣٢)، فيتضح مما ورد بالفقرة السابقة (٤) أنه يقرر أن الإنسان لو ترك إلى نفسه لعجز عن أن يدرك شيئًا عن الله بتاتًا (فصل ١١: ١)، الأمر الذي يسد فمه عن الادعاء بأنه عاقل. أما هذا التناقض الظاهري فيزول إذا علمنا أنه في مقدور الإنسان أن يكون عاقلاً، كما هو الحال مع جميع البشر (، ومع ذلك فهو غير عاقل من ناحية استعمال العقل) كما هو

---

[1] *وهي التي تعلم بخلاص كل البشرية حتى الملائكة الذين سقطوا.

الحال مع الكثيرين[1]* وبعبارة أخرى إن النعمة لا تعطي موهبة العقل نفسها، بل تنيرها وتكملها.

وهنالك تحذير ضروري آخر فيما يختص بالمشابهة التي يقدمها أثناسيوس (فصل ٤١ الخ). بين التجسد واتحاد الكلمة بالكون، إن الرسالة نفسها تقدم لنا الرأي السليم في هذا الموضوع (فصل ١٧:١ ، انظر أيضا الملاحظات عن الفصل ٤١)، ولعله من المناسب هنا أن نذكر أن الاختلاف الحقيقي بين أثناسيوس وبين الفلسفة الأفلاطونية الحديثة[2]* لم يكن في اتحاد الكلمة بأية مادة مخلوقة – الأمر الذي كان ينادى به أولئك الفلاسفة – بقدر ما كان اتحاد الكلمة بصفة استثنائية بالإنسان باعتباره متميزًا عن سائر المخلوقات، و يرجع هذا الاختلاف إلى عقيدة الخليقة، التي كانت هوة سحيقة بين المسيحية والآراء الأفلاطونية عن الكون. أما علاقة الآراء الأفلاطونية بالكلمة، فقد شرحها أثناسيوس شرحًا مستفيضًا في الجزء الثالث من رسالته ضد الوثنيين. وهذا التعليم يجب أن يكون ماثلاً أمام من يقرأ الفصل ٤١ والفصول التالية من الرسالة التي نحن بصددها (تجسد الكلمة).

وأخيرًا إن العلاقة المباشرة بين عقيدة الخليقة وعقيدة الفداء تُبين لنا الفرق بين عقيدة الخلاص في هذه الرسالة وبينها في العصور الوسطى. فأثناسيوس لم يغفل فكرة وفاء الديْن. كذلك هو يعتقد أن الصليب كان غرضه الأسمى من مجيء الكلمة (فصل ٢:٢٠ ١:٩،٢ الخ)، أما فكرة تجديد الطبيعة البشرية، فكانت في

---

[1]*أي أنه في مقدور جميع البشر أن يكونوا عقلاء، لكن الواقع أنهم عند استعمال قوتهم العاقلة يخرج الكثيرون منهم عن دائرة العقل.

[2]*فلسفة حديثة مزجت بين فلسفة أفلاطون والآراء الشرقية، ظهرت في القرن الثالث حيث بدأ بها أمونيوس سكاس في الإسكندرية ونشرها بلوتينيوس بروفيرى وبروكلوس ... الخ.

اعتقاده أهم ضرورات التجسد، إذ أن الله لم يشأ أن يمسح إثمنا بمجرد كلمة يقولها (فصل ٤٤)، لأن الطبيعة البشرية كانت تحتاج إلى إبراء. وتجديد، وخلقة جديدة. كانت فكرة تجديد الإنسان في مقدمة الآراء الثلاثة (فصل ٧:٥)، التي يلخص فيها وصفه للمعضلة التي تستحق دفاعه عنها.

وهذه الترجمة (الإنكليزية) لرسالة أثناسيوس عن تجسّد الكلمة، هي التي طبعت عام ١٨٨٥ وأعيد طبعها عام ١٨٩١. وكان القصد الأول من ترجمتها أن تلقى بشكل محاضرات في جامعة أكسفورد (١٧٨٩ - ١٨٢٢). وأما مقدمة كل فصل، وهي تتضمن تلخيصاً له، فقد أضيفت لغرض استعمالها أيضاً في تلك المحاضرات.

نبذة مختصرة عن مترجم هذا الكتاب

مترجم هذا الكتاب هو المتنيح القمص مرقس داود منشئ وراعي كنيسة مار مرقس الشهيرة بحدائق شبرا ومنذ شبابه كان غيوراً على عقيدة كنيسته القبطية الأرثوذكسية ، وغيوراً على نشر كلمة الله وتعاليم الكتاب المقدس وعقائد كنيسة المسيح القديمة، فقام بترجمة و تأليف ما لا يقل عن ثمانيين كتاباً من أهم الكتب العقائدية والتفسيرية وتاريخ القديسين فترجم نحو ثلاثين كتاباً عن متى هنري ، ونحو ١٥ كتاباً عن حياة رجال الله من تأليف رجل الله الشهير (ف. ب . ماير)، وترجم خمسة كتب لأثناسيوس الرسولي ومنها هذا الكتاب الذي بين أيدينا ، وكتابَي يوسابيوس القيصري وكتاب أوريجانوس وتفسير رسالة أفسس ليوحنا فم الذهب ... كما ألف وترجم أكثر من عشرين كتاباً أخرى في موضوعات روحية هامة ... ونحن نتعجب لتلك القدرة الهائلة وذلك الصبر البالغ وتلك الغيرة المقدسة التي إمتلأ بها قلب المتنيح القمص مرقس داود ... ولا شك أن روح الله كان يعضده ويقويه على أداء هذه الخدمات الجليلة التي لم يكن يبغي من ورائها ربحاً مادياً.

كان حافظ داود الشاب الغيور يتولى سكرتارية جمعية أصدقاء الكتاب المقدس التي كانت تهتم بالخدمة بين الشباب في حثّهم على قراءة الكتاب المقدس و العمل على حفظ حياة الشباب من شرور العالم، فأنشأت لهم منازل الطلبة ومصايف خاصة للمؤتمرات في الإسكندرية، وانتشرت الجمعية في أنحاء البلاد وكان حافظ داود دائم الحركة والنشاط يساعده رجال متطوعون للخدمة مثل الراحل الواعظ الشهير عياد عياد و المهندس نجيب سيفين ... ولما أنشئت الكنيسة

في حدائق شبزا سيم قساً (كاهناً) فيها، وانضم إليه زمرة من أتقياء الكهنة من ذوى المؤهلات العالية.

وتتولى مكتبة المحبة صاحبة اليد العُليا في نشر الكتب المسيحية طباعة الكثير من كتب الراحل وإعادة طبعها بين الحين والآخر.

وكذلك تولت جمعية خلاص النفوس طبع العديد من كتب القمص مرقس داود وهى تعيد طبعها دون أن يحصل على أي مقابل مادي.

ويجدر بنا أن نشير إلى أول كتاب كتبه المتنيح القمص مرقس داود، هو كتاب تفسير قداس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، الذي ألقاه كمحاضرات في إحدى مدارس البنات القبطية ١٩٢٠ –ثم جمعت المحاضرات في كتاب طبع عدة مرات– وقامت بطبعه مكتبة المحبة.

ومما يجب ذكره أن الذي أنشأ جمعية أصدقاء الكتاب المقدس هو المرحوم "باسيلي بطرس" القبطي الأرثوذكسي الغيور الذي كرس نفسه لخدمة الشباب الأرثوذكسي، الذي كان في مسيس الحاجة إلى الخدمة الروحية الاجتماعية، فسافر إلى إنجلترا على نفقته الخاصة رغم ضعف موارده المالية فقابل زعماء وقادة خدمة الشباب .. وأرغم نفسه قبل هذا على دراسة اللغة الإنجليزية – فدرس العمل المسيحي في الكليات، وكافة مظاهر هذه الخدمة، ولما عاد إلى مصر أنشأ جمعية أصدقاء الكتاب المقدس بكل نشاطاتها وجعلها مستقلة عن كل نشاط أجنبي

مقدمة الطبعة التاسعة

عندما شرعت في مراجعة هذا الكتاب لم أكن أتوقع كل هذه الكنوز اللاهوتية، فقد لُقِّب أثناسيوس الرسولي بحق أنه "حامي الإيمان"، ولعل أهم ما يقوله أثناسيوس عن المسيح كلمة الله المتجسد يتلخص فيما يلي:

"هذا هو الذي صُلب أمام الشمس وكل الخليقة كشهود، وأمام من أسلموه إلى الموت. وبموته صار الخلاص للجميع، والفداء لكل الخليقة. هو حياة الجميع، الذي سلم جسده إلى الموت نيابة عن الجميع، ولأجل الجميع، ولو لم يؤمن اليهود بذلك" (فصل ٣٧: ٧)، فليس بأحد غيره الخلاص.

أما ما يقوله أثناسيوس لليونانيين فأهمه هو قوله إن "فلاسفة اليونانيين(وخاصة أفلاطون) يقولون إن الكون جسم (أو جسد) هائل، وهذا حق لأننا نراه، ونرى أجزاءه واقعة تحت حواسنا. فإن كان كلمة الله في الكون الذي هو جسم، وإن كان قد اِتحّد[١]* بكل الكون وبكل أجزائه، فما هو وجه الغرابة أو السخف إن قلنا إنه اِتّحد بالإنسان أيضا؟" (فصل ٤١: ٥)، ويضيف كذلك:

"إنه لو كان حلوله في جسد أمرًا سخيفًا وغير معقول، لكان أمرًا سخيفًا أيضًا أن يتّحد بكل الكون ويعطي ضياءً وحركة لكل الأشياء بعنايته، لأن الكون أيضًا جسد.

أما إن كان قد لاق به أن يتّحد بالكون، وأن يُعرف في الكل، وجب أن يليق به أيضًا أن يظهر في جسد بشري، وأن يستضئ به ذلك الجسد ويعمل، لأن البشرية جزء من الكل كسائر الأجزاء. ولو كان أمرًا غير لائق أن يتخذ جزءًا كأداة يُعلِّم

---

[١] *أو ﴿يسكن في كل﴾ حسب بعض الترجمات.

البشر بها عن لاهوته، لكان أمرًا في غاية السخف أن يُعرف بواسطة كل الكون أيضًا" (فصل ٤١: ٦،٧).

المسيح كلمة الله الحيّ، باسمه تخرج الشياطين. "وإن كانت الشياطين تعترف به، وأعماله تشهد له يومًا فيومًا، فقد اتضح جلياً -ويجب أن لا يتصلف أحد نحو الحق- أن المخلص أقام جسده، وأنه هو ابن الله الحقيقي المولود منه. وأنه هو كلمته وحكمته وقوته، الذي في الأزمنة الأخيرة اتّخذ جسدًا لخلاص الجميع، وعلّم العالم عن الله (الآب)، وأبطل الموت ووهب الكل عدم الفساد بموعد القيامة إذ أقام جسده كباكورة لذلك، وأظهره بعلامة الصليب كعلامة للظفر على الموت وفساده" (فصل ٣٢: ٦)، "فلقد بسط المسيح يديه على الصليب، الذي وهو روح لا جسد له ظهر في الجسد (إتّخذ جسدًا) من أجلنا وتألم عن الجميع" (فصل ٣٨: ٢)، فليس اسم آخر تحت السماء به ينبغي أن نخلص، فهو الذي أنار الحياة وفتح باب الخلود لمن يؤمن به.

الناشرون

الفصل الأول

مقدمة هذه الرسالة: اتضاع وتجسد "الكلمة" افتراض عقيدة الخليقة وذلك بواسطة "الكلمة" لقد خلص الآب العالم بذاك الذي به خلقه أولاً.

١. إذا اقتصرنا في بحثنا السابق على القليل من الأقوال الكثيرة مما يكفي لبيان ضلالة الأمم[1]*، بصدد الأوثان، وعبادة الأوثان، وكيفية اختراعها في بداية الأمر، وكيف كانت شرور البشر هي الباعث على تفكيرهم في عبادة الأوثان، وبعد أن عرفنا بنعمة الله أيضًا شيئًا عن لاهوت كلمة الآب وعنايته الشاملة وسلطانه، وكيف أن الآب الصالح ينظم كل الأشياء بالكلمة، وأن به تتحرك كل الكائنات وبه تحيا. تعالَ الآن أيها العزيز مكاريوس[2]*، يا خليقًا بهذا الاسم، ويا محبًا للمسيح بالحق ولنتتبع إيماننا المسيحي[3]*، ولنظهر كل ما يتعلق بتأنس (الكلمة) وظهوره الإلهي بيننا، الأمر الذي يسخر منه اليهود، ويهزأ به اليونانيون، وأما نحن فنعظمه ونبجله، وذلك حتى تزداد وتتضاعف تقواك نحو (الكلمة) على قدر ضعف مظهره.

- [1]*أي الوثنيين

[2]*انظر الرسالة ضد الوثنين فصل ١. قد يكون هذا الاسم مستعملاً هنا رمزياً فقط، كما ورد في بعض الترجمات التي جاء بها عوضًا عن ذلك: ﴿أيها المغبوط والمحب للمسيح بالحقيقة﴾. ولكن وروده في كلتا الرسالتين يدل على أن المقصود به شخص معين، ويغلب على الظن أن يكون المقصود به شخصًا مسيحياً له دراية بالكتاب المقدس.

[3]*أنظر ١ تيموثاوس ٣: ١٦.

٢. فإنه كلما ازداد استهزاء غير المؤمنين (بالكلمة)، ازدادت الشهادة التي يعطيها عن لاهوته. لأن ما يعتقده البشر مستحيلاً يثبته الله ممكنًا وسهلاً، وليس ذلك وحسب، بل إن ما يسخرون منه ويعتقدونه غير لائق، يلبسه بصلاحه ثوب اللياقة والجمال، وما يهزأون به بغرورهم وإدعائهم الحكمة، ويتوهمونه بشرياً، يظهره هو بسلطانه إلهياً، وفي ذلك كله تتغلب على الإدعاءات والإفتراءات الوثنية بما يظنه العالم ضعفًا، أي بصليبه، ويقنع بطريقة خفية أولئك الهازئين وغير المؤمنين، ليدركوا لاهوته وسلطانه.

٣. ولعلاج هذا الموضوع، أراه لِزامًا عليَّ أن ألخص ما سبق أن قررته (في رسالتي السابقة لك عن الوثنيين) حتى لا تفوتك معرفة سبب ظهور كلمة الآب الجليل القدر في الجسد، وحتى لا تتوهم أنه كان من مستلزمات طبيعة مخلصنا أن يلبس جسدًا، بل لكونه خالياً من الجسد بطبيعته، ولأنه هو الكلمة منذ الأزل قد ارتضى بتحنن أبيه وصلاحه أن يظهر لنا في جسد بشري لخلاصنا.

٤. إذن فيليق بنا أن نبدأ بحث هذا الموضوع بالتحدث عن خلقة الكون و عن الله بارئه، وعندئذ يمكننا أن ندرك أن تجديد الخليقة كان من عمل نفس (الكلمة) الذي خلقها في البداية، إذ سوف يتضح أنه لم يكن أمرًا مخالفًا أن يتمم الله خلاص العالم بذاك الذي خلقه به أولاً.

الفصل الثاني

دحض بعض الآراء الخاطئة عن عملية الخلق:

1. مذهب الآبيكوريين، وهو القائل بأن الخلق مصادفة، لكن تعدد الأجسام والأجزاء يستلزم وجود قوة خالقة.

2. مذهب "الأفلاطونيين"، وهو القائل بوجود المادة من قبل. وهذا يخضع الله للحدود البشرية، ويجعله لا خالقا بل صانعا ميكانيكياً.

3. مذهب اللاادريين أو الأغنوسيين، وهو القائل بوجود خالق آخر، وهذا يشجبه الكتاب المقدس.

١. لقد نحا الكثيرون مناحي مختلفة في صدد صنع الكون وخلق جميع الأشياء، ووضع كل منهم المبدأ الذي يتفق وأهواءه. فالبعض توهم أن كل الأشياء وجدت من تلقاء ذاتها وبمجرّد الصدفة، كالآبيكوريين[1]* مثلاً، الذين يدعون بغرورهم أن لا وجود لتلك العناية التي تهيمن على الكل، وهم في ذلك يناقضون الحق الواضح والإختبار الملموس

٢. فلو صح زعمهم بأن كل شيء وجد من نفسه، خلوًا من أية غاية لنتج من هذا أن جميع الأشياء لابد أن تكون قد خلقت بطريقة واحدة في حالٍ واحدة متشابهة وغير متميزة عن بعضها. وبالتالي كان يجب من جهة إتحاد الجسم أن يكون الكل شمسًا أو قمرًا. وفي حالة الإنسان كان يجب أن يكون الكل عينًا أو يدًا أو رجلاً. الحال غير هذا، بل العكس أننا نرى تمييزًا في الخليقة. فنرى الشمس والقمر والأرض، وفي

---

[1] *هم أتباع " أبيكورس" الفيلسوف الوثني الذي ولد سنة ٣٤١ ومات سنة ٢٧٠ ق م.

الأجساد البشرية نرى الرِجل واليد والرأس. فهذا التمييز يدل على أنها لم تبرز إلى الوجود من نفسها، بل يدل على أنه قد تقدمتها عِلة، ومن هذه العلة نستطيع أن نُدرك الله كخالق وباعث للكل.

٣. والبعض الآخر -وضمنهم "أفلاطون"[1]* الذي ذاعت شهرته بين اليونانيين- يزعمون أن الله صنع العالم من مادة موجودة من قبل لا بداية لوجودها[2]*، لأنه لم يكن ممكنًا (حسب اِدّعائهم) أن يصنع شيئًا، ما لم تكن المادة موجودة فعلاً، كالنجار مثلاً الذي لا يستطيع أن يصنع شيئًا، ما لم تكن مادة الخشب متوفرة بين يديه.

٤. على أنهم بقولهم هذا لا يدركون أنهم ينسبون الضعف لله، لأنه لو لم يكن هو باعث المادة، بل يصنع الأشياء من المادة الموجودة من قبل، فهذا معناه أنه ضعيف، لأنه إذ ذاك لا يستطيع إيجاد شيء بدون توفر المادة لديه. كما أنه لا شك يعتبر ضعفًا من النجار أن لا يستطيع صنع أي شيء يحتاجه دون توفر الخشب لديه. لأنه يترتب على هذا الزعم أنه لو لم تكن المادة قد توفرت لدى الله لما كان قد صنع شيئًا. و كيف يسوغ لنا في هذه الحالة أن ندعوه خالقًا وبارئًا إن كان يدين بقدرته على الخلق لمصدر آخر، أي المادة؟ فلو كان الأمر كذلك لكان الله حسب رأيهم صانعًا ميكانيكياً، ليس خالقًا من العدم، ما دام يصنع الأشياء من المادة المتوّفرة لديه دون أن يكون هو الباعث للمادة، لأنه لا يمكن بأي حالٍ أن يُدعى خالقًا ما لم يكن هو الخالق للمادة التي منها صُنعت جميع المخلوقات بدورها.

---

[1] *أحد فلاسفة اليونان أيضًا عاش من سنة ٤٢٧ إلى سنة ٣٤٧ ق م

[2] *أو غير مخلوقة كبعض الترجمات

٥. وأما المبتدعون فيتوهمون لأنفسهم خالقًا آخر لكل الأشياء، غير أبي ربنا يسوع المسيح، وهم بذلك يبرهنون على منتهى العمى. لا يرون حتى نفس الألفاظ التي يستعملونها.

٦. لأنه إن كان الرب قد قال لليهود ﴿... أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكرًا وأنثى، وقال من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدًا واحدًا﴾ ثم قال أيضًا مشيرًا إلى الخالق ﴿... فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان﴾(متى ١٩ : ٤-٦)، فكيف يسوغ لأولئك القوم أن يدّعوا بأن عملية الخلق لا تنسب إلى الآب؟ أو -حسب تعبير "يوحنا" الذي يتحدث عن جميع الكائنات بلا استثناء- لأن ﴿كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان﴾ (يوحنا ١ : ٣)، فكيف يمكن أن يكون الخالق شخصية أخرى غير الآب؟

الفصل الثالث

العقيدة السليمة. خلقة الكائنات من العدم لسبب فرط جود الله وكرمه. خلقة الإنسان أعلى من سائر الكائنات، ولكن دون أن تكون له القدرة على البقاء مستقلاً عن غيره. العطية السامية الممتازة التي منحها الله إيانا أن يكون على صورته ومثاله، مع وعده بالسعادة بشرط استمراره في النعمة.

١. وهكذا نراهم يتخبطون في أوهامهم. أما التعليم الإلهي والإيمان بالمسيح، فإنهما يدمغان أقوالهم الغبية بوصمة العار، ويظهران أنها كفر وإلحاد. لأنه معلوم أن الكائنات لم تخلق من تلقاء ذاتها، فإن خلقها يستلزم وجود فكر سابق. كما أنها لم تخلق من مادة موجودة من قبل، لأن الله ليس ضعيفًا. ولكن الله خلق الكون من العدم، ومن غير سبق وجوده مطلقًا، بكلمته، كما يقول:

<u>أولاً:</u> على لسان "موسى" ﴿في البدء خلق الله السموات والأرض﴾ (تكوين ١: ١)،

<u>وثانياً:</u> في الكتاب الهام جدًا الذي يسمى "الراعي"[1]* ﴿وقبل كل شيء أومن بأن الله واحد، الذي خلق وصور كل الأشياء، وأوجدها من العدم﴾

٢. وإلى هذا يشير أيضًا "بولس" إذ يقول: ﴿بالإيمان نفهم أن العالمين أتقنت بكلمة الله، حتى لم يتكون ما يرى مما هو ظاهر﴾ (عبرانيين ١١: ٣).

---

[1] *لمؤلفه "هرماس" أحد مؤلفي الأجيال الأولى للمسيحية.

٣. لأن الله صالح، أو بالحري هو بالضرورة مصدر الصلاح، والصالح لا يمكن أن يبخل بأي شيء. لذلك فإنه إذ لا يضن بنعمة الوجود على أي شيء، خلق كل الأشياء من العدم بكلمته - يسوع المسيح ربنا. وفضلاً عن ذلك فإنه إذ أشفق بصفة خاصة على الجنس البشري دون سائر المخلوقات على الأرض، وإذ رأي ضعف الإنسان - بطبيعة تكوينه- عن أن يبقى في حالٍ واحدةٍ، منحه نعمة أخرى، فإنه لم يكتف بمجرد خلقته للإنسان، كما خلق باقي المخلوقات غير العاقلة على الأرض، بل خلقه على صورته ومثاله، وأعطاه نصيبًا حتى في قوة "كلمته"، لكي يستطيع وله نوع من ظل "الكلمة"، وقد خلق عاقلاً، أن يبقى في السعادة أبدًا، ويحيا الحياة الحقيقية، حياة القديسين في الفردوس.

٤. ولكن لعلمه أيضًا أن إرادة الإنسان يمكن أن تميل إلى إحدى الجهتين (أي الخير والشر)، سبق فدّعم النعمة المعطاة له، بالوصية التي قدمها إليه، والمكان الذي أقامه فيه، لأنه أتى به إلى جنته، وأعطاه وصية، حتى إذا حفظ النعمة، واستمرّ صالحًا، استطاع الاحتفاظ بحياته في الفردوس بلا حزن ولا ألم ولا هم، فضلاً عن موعد عدم الفساد في السماء. أما إذا تعدى الوصية وإرتد وأصبح شريرًا. فيعلم بأنه يجلب على نفسه الفساد بالموت الذي كان يستحقه بالطبيعة، وأنه لا يستحق الحياة في الفردوس بعد، بل يطرد منه من ذلك الوقت، ولكي يموت ويبقى في الموت والفساد.

٥. وهذا يحذر منه الكتاب المقدس قائلاً بفم الله ﴿من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً. وأما شجرة معرفة الخير و الشرّ فلا تأكل منها. لأنك يوم تأكل منها موتًا تموت﴾

(تكوين ٢: ١٦-١٧)، و ماذا يعني بقوله: ﴿موتًا تموت﴾. ليس المقصود مجـرد المـوت فقط، بل أيضًا البقاء إلى الأبد في فساد الموت.

الفصل الرابع

اتصال خلقتنا والتجسد الإلهي أحدهما بالآخر اتصالاً وثيقًا. وكما خُلق الإنسان بكلمة الله من العدم إلى الوجود، ثم نال نعمة إلهية، كذلك بخطية واحدة خسر تلك الحياة، وجلب على نفسه الفساد، وملأت الخطية والشقاء العالم.

١. قد تدهش وتتساءل عن السبب في هذا البحث عن أصل البشرية، طالما كان القصد من هذه الرسالة التحدث عن تجسد الكلمة، ولكن اعلم أن هذا البحث أيضًا يتصل بالغرض من هذه الرسالة.

٢. لأننا عند التحدث عن ظهور المخلص بيننا، يتحتم علينا التحدث عن أصل البشر، ولكي تعلم أن نزوله إلينا كان بسببنا، وأن عصياننا استدعى تعّطف الكلمة لكي يسرع الرب في إغاثتنا و الظهور بين البشر.

٣. لأن إغاثتنا كانت هي الغرض من تجسده! ولأجل خلاصنا أظهر محبته العظمى إلى حد أن يظهر ويولد في جسد بشرى.

٤. فالله إذ خلق الإنسان، قصد أن يبقى في عدم فساد، أما البشر، فإذ احتقروا ورفضوا التأمل في الله، واخترعوا ودبروا الشر لأنفسهم، كما تقدم بحثه في الرسالة السالفة[1]*، فقد استحقوا حكم الموت الذي سبق تهديدهم به. و من ذلك الحين لم يبقوا بعد في الصورة التي خلقوا عليها، بل فسدوا حسبما أرادوا لأنفسهم (جامعة ٧: ٢٩ ، رومية

---

[1] *انظر الرسالة إلى الوثنيين (فصل ٣ – ٥)

١: ٢١و٢٢)، وساد عليهم الموت كملك (رومية ٥: ١٤). لأن تعديهم الوصية أعادهم إلى حالتهم الطبيعية، حتى أنهم كما نشأوا من العدم، كذلك يجب أن لا يتوقعوا إلا الفساد الذي يؤدي إلى العدم مع توالي الزمن.

٥. لأنهم إن كانوا بحضور "الكلمة" وتعطفه قد دعوا إلى الوجود، من الحالة الطبيعية الأولى، وهي عدم الوجود، فإنهم بطبيعة الحال متى تجردوا من معرفة الله عادوا إلى العدم[1]* (لأن كل ما هو شرّ فهو عدم، وكل ما هو خير فهو كائن وموجود)، ويجب أن تكون النتيجة بطبيعة الحال الحرمان إلى الأبد من الوجود، طالما كانوا يستمدون وجودهم من الله الموجود. وبتعبير آخر يجب أن تكون النتيجة الاِنحلال، وبالتالي البقاء في حالة الموت والفساد.

٦. لأن الإنسان إذ خُلِق من العدم فإنه فانٍ بطبيعته، على أنه، بفضل خلقته على صورة الله الكائن، كان ممكنًا أن ينجو من الفساد الطبيعي، ويبقى في عدم فساد لو أنه احتفظ بتلك الصورة بإبقاء الله في معرفته. وكما تقول الحكمة: ﴿حفظ شرائعه تحقيق عدم البلى (الخلود)﴾ (سفر الحكمة ٦: ١٩) ولكنه إذ كان في عدم فساد، كان ممكنًا أن يعيش كالله منذ ذلك الوقت، وإلى هذا يشير الكتاب المقدس على الأرجح عندما يقول: ﴿أنا قلت أنكم إلهة وبنو العلي كلكم. لكن مثل الناس تموتون وكأحد الرؤساء تسقطون﴾ (مزمور ٨٢: ٦-٧).

---

[1]*أو ﴿إلي ما لا وجود له﴾. ولعل أثناسيوس يقصد العدم جسدياً

الفصل الخامس

١. لأن الله لم يكتفِ بأن خلقنا من العدم ولكنه أيضًا وهبنا مجانًا نعمة الكلمة، حياةً منسجمة مع الله. ولكن البشر إذ رفضوا الأمور الأبدية وتحولوا إلى الأمور الفاسدة بمشورة الشيطان، صاروا سببًا لفساد أنفسهم بالموت، لأنهم -كما ذكرت سابقًا- بالطبيعة فاسدون تعينوا للخلاص من حالتهم الطبيعية بنعمة اشتراكهم في "الكلمة" إن استمروا صالحين (بقوته ومساعدته).

٢. ولأن "الكلمة" حل معهم، فحتى فسادهم الطبيعي لم يجسر أن يقترب منهم، كما تقول الحكمة أيضًا ﴿لأن الله خلق الإنسان في عدم البلى[1]* وصنعه على صورة أزليته، لكن الموت دخل إلى العالم بسبب إبليس﴾ (حكمة ٢: ٢٣،٢٤). وعندما تم ذلك بدأ البشر يموتون، وساد عليهم الفساد من ذلك الوقت فصاعدًا، وصار له سلطان على كل الجنس البشرى أكثر من سلطانه الطبيعي، لأنه أتى نتيجة تهديد الله في حال عصيان الوصية.

٣. لأن البشر لم يقفوا عند حد معين حتى في سوء أفعالهم، بل تدرّجوا في الشر حتى تخطوا كل حدود، وأصبحوا يخترعون الشر ويتفننون فيه، إلى أن جلبوا على أنفسهم الموت والفساد، وبعد ذلك إذ توغلوا في الرذيلة، ولم يقفوا عند شر واحد، بل راحوا يخترعون كل جديد من الشر، فقد أصبحت طبيعتهم مشبعة من الخطية.

٤. فها هي خطايا الزنى والسرقة قد عمت كل مكان، وامتلأت كل الأرض بخطايا القتل والنهب، وأصبح البشر لا يراعون حرمة للناموس، بل صاروا يرتكبون الجرائم

---

[1] *أو "خالدا" حسب ترجمة اليسوعيين

في كل مكان، سواء كأفراد أو كجماعات. فالمدن اشتبكت في الحروب مع المدن، والأمم قامت ضد الأمم، وتمزقت كل الأرض بسبب المنازعات المدنية والحروب، وصار كل إنسان يتنافس مع أترابه في الأعمال القبيحة.

٥. وأصبحوا لا يترفعون حتى عن الجرائم التي ضد الطبيعة كما يقول عنهم بولس رسول المسيح وشاهده: ﴿... لأن إناثهم استبدلن الاستعمال الطبيعي بالذي على خلاف الطبيعة، وكذلك الذكور أيضًا تاركين استعمال الأنثى الطبيعي اشتعلوا بشهوتهم بعضهم لبعض فاعلين الفحشاء ذكورًا بذكور ونائلين في أنفسهم جزاء ضلالهم المُحِقّ﴾ (رومية ١: ٢٦، ٢٧).

الفصل السادس

إذن فقد كان الجنس البشري سائرًا إلى الفناء، وكانت صورة الله فيه سائرة إلى الاضمحلال، وتلف عمله. لهذا كان أمام الله أحد أمرين: إما أن يتنازل عن كلمته التي نطق بها، والتي جلب بها الإنسان على نفسه الخراب، أو أن يهلك الإنسان الذي شارك الكلمة. وفي هذه الحالة يفشل قصد الله. فماذا إذن؟ أيحتمل صلاح الله هذا؟ وإن كان الأمر كذلك فلماذا خلق الإنسان؟ لو أن هذا حدث لدل على ضعف الله لا على صلاحه.

١. إذن فمن أجل هذا ساد الموت البشر وعمهم الفساد، وكان الجنس البشري سائرًا نحو الهلاك، وكان الإنسان العاقل الذي خُلِق على صورة الله آخذًا في الاختفاء، وكانت صنعة الله آخذة في الإنحلال.

٢. لأن الموت، كما قلت سابقًا، صارت له سيادة شرعية علينا (تكوين ٢: ٢٥) منذ ذلك الوقت، وكان مستحيلاً أن ينقض الناموس، لأن الله هو الذي وضعه بسبب التعدي (غلاطية ٣: ١٩)، وأصبحت النتيجة في الحال مرعبة حقًا وغير لائقة.

٣. لأنه <u>أولاً:</u> كان أمرًا مرعبًا لو أن الله بعدما تكلم يصير كاذبًا، -حيث كان الله أصدر حكمه على الإنسان بأن يموت موتًا، إن تعدى الوصية والذي يحدث أنه لا يموت- فتبطل كلمة الله حينذاك. ولو كان الإنسان لم يمت بعد أن قال الله إننا نموت، لأصبح الله غير صادق.

<u>ثانياً:</u> وكان أيضًا أمرًا غير لائق أن الخليقة التي خلقت عاقلة، والتي شاركت "الكلمة"، يصبح مصيرها الهلاك، وترجع إلى عدم الوجود بالفساد.

٤. لأنه مما لا يتفق مع صلاح الله أن تفنى خليقته بسبب الغواية التي أدخلها الشيطان على البشر.

٥. وبصفة خاصة كان غير لائق على الإطلاق أن تتلاشى صنعة الله بين البشر، إما بسبب إهمالهم، أو بسبب غواية الأرواح الشريرة.

٦, ولو كان مصير الخليقة العاقلة قد بات إلى الهلاك، وصار مآل هذه المصنوعات إلى الفناء، فما الذي يفعله الله في صلاحه إذن؟ أيحتمل بأن يرى الفساد يسود البشر، والموت ينشب أظافره فيهم؟ وما الفائدة من خلقتهم منذ البدء؟ لأنه كان خيرًا لهم لو لم يخلقهم من أن يخلقوا ثم يهملون ويفنون.

٧. لأن الإهمال لا يعلن صلاح الله بل ضعفه، إن كان يسمح لخلقة يديه بالفناء بعد أن خلقها، وكان بالأحرى يتبين ضعفه لو لم يكن قد خلق الإنسان على الإطلاق.

٨. لأنه لو لم يكن قد خلق جنس البشر لما تجاسر إنسان أن ينسب إليه الضعف. أما وقد خلقه، و خلقه من العدم، فقد كان يعد أمرًا مشينًا جدًا أن يفنى المخلوق على مرأى من الخالق.

٩. لهذا أصبح أمرًا محتمًا ألا يُترك الإنسان لتيار الفساد، لأن ذلك يعتبر عملاً غير لائق، ولا يتفق مع صلاح الله.

الفصل السابع

على أننا من الجهة الأخرى نعلم أن طبيعة الله ثابتة، ولا يمكن أن تضحي من أجلنا. أيدعي البشر إذن للتوبة؟ لكن التوبة لا تستطيع أن تحول دون تنفيذ الحكم، كما أنها في الوقت نفسه لا تستطيع أن تداوي الطبيعة البشرية الساقطة. فنحن قد جلبنا الفساد على أنفسنا ونحتاج لإعادتنا إلى نعمة صورة الله. ولا يستطيع أحد أن يجدد الخلق إلا الخالق، فهو وحده الذي يستطيع (١) أن يخلق الجميع من جديد (٢) أن يتألم من أجل الجميع (٣) أن يقدم الجميع إلى الآب.

١. وإن كنا قد وصلنا إلى هذه النتيجة فإننا من الناحية الأخرى نجد مطالب الله العادلة تصطدم بها، إذ يجب أن يكون الله أمينًا وصادقًا من جهة حكم الموت الذي وضعه. لأنه كم يكون شنيعًا جدًا لو كان الله أبو الحق يظهر كاذبا من أجلنا ومن أجل نجاتنا؟

٢. ومرة أخرى نقول: أي طريق كان ممكنًا أن يسلكه الله؟ أيطلب من البشر التوبة عن تعدياتهم؟ وهذا قد يرى لائقًا بالله – لعلهم كما ورثوا الفساد بسبب التعدي ينالون عدم الفساد بسبب التوبة.

٣. ولكن التوبة أولاً: لا تستطيع أن توفي مطلب الله العادل لأنه إن لم يظل الإنسان في قبضة الموت يكون الله غير صادق ثانياً: تعجز عن أن تغير طبيعة الإنسان، لأن كل ما تفعله هو أنها تقف حائلاً بينه وبين إرتكاب الخطية.

٤. ولو كان الأمر مجرد خطأ بسيط ارتكبه الإنسان، ولم يتبعه الفساد، فقد تكون التوبة كافية. أما وقد علمنا أن الإنسان بمجرد التعدي انحرف في تيار الفساد، الذي كان طبيعة له، وحرم من تلك النعمة التي سبق أن أعطيت له وهي مماثلته لصورة الله، فما هي الخطوة التالية التي كان يستلزمها الأمر، أو من الذي كان يستطيع أن يعيد إليه تلك النعمة، ويرده إلى حالته الأولى، إلا كلمة الله الذي خلق كل شيء من العدم في البدء؟

٥. لهذا كان أمام كلمة الله مرة أخرى أن يأتي بالفاسد إلى عدم فساد، وفي نفس الوقت أن يوفي مطلب الآب العادل المطالب به الجميع. وحيث أنه هو كلمة الآب ويفوق الكل، فكان هو وحده الذي يليق بطبيعته أن يجدد خلقة كل شيء، وأن يتحمل الآلام عوضًا عن الجميع وأن يكون نائبًا[1]* عن الجميع لدى الآب.

---

[1] *أو "شفيعًا"، أو "سفيرًا" كبعض الترجمات.

الفصل الثامن

لهذا افتقد كلمة الله الأرض التي كان حاضرًا فيها دائمًا، ورأى كل هذه الشرور، ثم أخذ جسدًا من طبيعتنا من عذراء طاهرة عفيفة حل في أحشائها، وذلك لكي يعلن نفسه فيه، ويقهر الموت، ويعيد الحياة.

١. لأجل ذلك جاء إلى عالمنا كلمة الله، الخالي من الجسد، والعديم الفساد، وغير المادي، ﴿مع أنه لم يكن عنا ببعيد﴾ (أعمال ١٧: ٢٧). لأنه لم يترك شيئًا من البرايا خلوًا منه، إذ هو يملأ كل شيء في كل مكان، وفي نفس الوقت هو كائن مع أبيه. ولكنه تنازل وأتى إلينا لكي يعلن شفقته علينا ويفتقدنا.

٢. وإذ رأى جنس الخليقة العاقلة في طريق الهلاك، وأن الموت يسودهم بالفساد، وإذ رأى أيضًا أن التهديد بالموت في حالة التعدي، قد مكّن الفساد من طبيعتنا، وأنه لأمر شنيع أن ينحل الناموس قبل أن يتم وإذ رأى أيضًا عدم لياقة الأمر الراهن، وهو أن خليقته التي خلقتها يداه في طريق الفناء، وإذ رأى فوق هذا شر البشر المستطير، وأنهم يتزايدون فيه شيئًا فشيئًا، حتى أشرفوا على هوة سحيقة، وإذ رأى أخيرًا أن كل البشر كانوا تحت قصاص الموت لهذا أشفق على جنسنا، وترفق بضعفنا، ورثى لفسادنا. وإذ لم يحتمل أن يرى الموت تصير له السيادة، لئلا تفنى به الخليقة، وتذهب صنعة أبيه في البشر هباء، فقد أخذ لنفسه جسدًا لا يختلف عن جسدنا.

٣. لأنه لم يفكر في مجرد التجسد، أو مجرد الظهور[1]*، وإلا فلو أنه أراد مجرد الظهور لاستطاع أن يتمم ظهوره الإلهي بطريقة أسمى وأفضل. ولكنه أخذ جسدًا من جنسنا،

---

[1]* انظر فصل ٤٣: ٧

وليس ذلك فحسب، بل من عذراء طاهرة بلا لوم لم تعرف رجلاً. جسدًا طاهرًا وخالياً بالحق من زرع بشرى، لأنه، وهو القادر على كل شيء، وبارئ كل شيء أعد الجسد في العذراء كهيكل له، وجعله جسده بالذات، واتخذه أداة له وفيه أعلن ذاته، وفيه حل.

٤. وهكذا إذ أخذ من أجسادنا جسدًا مماثلاً لطبيعتنا، وإذ كان الجميع تحت قصاص فساد الموت، فقد بذل جسده للموت عوضًا عن الجميع، وقدمه للآب. كل هذا فعله شفقة منه علينا، وذلك أولاً: لكي يبطل الناموس الذي كان يقضى بهلاك البشر، إذ مات الكل فيه، لأن سلطانه قد أكمل في جسد الرب ولا يعود ينشب أظفاره في البشر الذين ناب عنهم ثانياً: لكي يعيد البشر إلى عدم الفساد بعد أن عادوا إلى الفساد، ويحييهم من الموت بجسده وبنعمة القيامة، وينقذهم من الموت[1]* كإنقاذ القش[2]* من النار.

---

[1] *الترجمة الأصح "ويبيد الموت عنهم"

[2] *أو "القصب" كبعض الترجمات، والمعنى أن الناس هم القش، و الموت هو النار.

الفصل التاسع

وإذ لم يكن ممكناً أن يُوقَف الوباء إلا بالموت أخذ "الكلمة" جسدًا قابلا للموت وإذ إتّحد الجسد به أصبح نائبا عن الكل، و باشتراكه في عدم موته أوقف فساد الجنس البشري، و بكونه أسمى من الكل، جعل جسده ذبيحة من أجلنا. و بكونه واحدا معنا كلنا ألبسنا عدم الموت. تشبيه لإيضاح هذا.

١. وإذ رأى "الكلمة" أن فساد البشرية لا يمكن أن يبطل إلا بالموت كشرط لازم، وأنه مستحيل أن يتحمل "الكلمة" الموت لأنه غير مائت ولأنه ابن الآب، لهذا أخذ لنفسه جسدًا قابلاً للموت، حتى بِاتّحاده "بالكلمة"، الذي هو فوق الكل، يكون جديرًا أن يموت نيابة عن الكل، وحتى يبقى في عدم فساد بسبب الكلمة الذي أتى ليحل فيه وحتى يتحرر الجميع من الفساد، فيما بعد، بنعمة القيامة من الأموات. وإذ قدم للموت ذلك الجسد، الذي أخذه لنفسه، كمحرقة وذبيحة خالية من كل شائبة فقد رفع حكم الموت فورًا عن جميع من ناب عنهم، إذ قدم عوضًا عنهم جسدًا مماثلاً لأجسادهم.

٢. ولأن كلمة الله متعالٍ فوق الكل، فقد لاق به بطبيعة الحال أن يوفي الدّين بموته وذلك بتقديم هيكله وآنيته البشرية لأجل حياة الجميع[1]* وإذ إتّحد ابن الله عديم الفساد بالجميع بطبيعة مماثلة، فقد ألبس الجميع عدم الفساد، بطبيعة الحال، بوعد

---

[1]*أو "فداء عن الجميع"

القيامة من الأموات. لأنه لم يعد ممكنًا أن ينشب فساد الموت الفعلي أظفاره في البشر، وذلك بسبب "الكلمة" الذي جاء وحل بينهم بجسده الواحد.

٣. وكما أنه لو دخل ملك عظيم مدينة عظيمة[1]*، واتّخذ إقامته في أحد بيوتها، فإن هذه المدينة تتشح بالشرف الرفيع، ولا يعود عدو أو لص ينزل إليها لإخضاعها، بل على العكس، تعتبر مستحقة لكل عناية، لأن الملك اتخذ مقره في واحد من بيوتها، كذلك كانت الحال مع ملك الكل.

٤. فإنه إذ أتى إلى عالمنا، واتّخذ إقامته في جسد واحد بين أترابه فقد بطلت كل مؤامرة العدو ضد الجنس البشري منذ ذلك الحين، وزال عنهم فساد الموت الذي كان سائدًا عليهم من قبل لأنه لو لم يكن الرب مخلص الجميع، ابن الله، قد جاء إلينا وحل بيننا ليوفي غاية الموت[2]*لكان الجنس البشري قد هلك.

[1] *لعله يشير إلى ما كان يحدث عند زيارة الأباطرة للبلاد. وقد تشرفت القسطنطينية بعد ذلك (سنة ٣٢٦) بزيارة الملك العظيم قسطنطين لها وإقامته فيها.

[2] *أو "ليضع حدًا للموت ".

الفصل العاشر

إيضاح معقولية عمل الفداء بتشبيه آخر. كيف أزال المسيح عنا هلاكنا، وقدم لنا في تعاليمه الدواء الشافي من سمومه. البراهين الكتابية لتجسد "الكلمة" وللذبيحة التي قدمها.

١. حقًا لقد كان هذا العمل العظيم متفقًا مع وجود الله بشكل عجيب. لأنه إذا أسس ملكٌ منزلاً أو مدينة وأحدق بها اللصوص بسبب إهمال سكانها، فإنه لا يهملها أو يتغاضى عنها بأي حال، بل يقوم ويهتم وينتقم من العابثين بها لأنها صنعة يديه غير مبال بإهمال سكانها، بل بما يليق بذاته. وهكذا الله، كلمة الآب الكلي الصلاح، لم يهمل الجنس البشري صنعة يديه، ولم يتركه للفساد، بل أبطل الموت بتقديم جسده، وعالج إهمالهم بتعاليمه، ورد بسلطانه كل ما كان للإنسان.

٢. وهذه كلها يمكن للمرء أن يتحققها من كتبة الإنجيل، الذين كتبوا بإلهام الروح القدس، إذا إطّلع على كتاباتهم التي فيها يقولون ﴿أن محبة المسيح تحصرنا إذ نحن نحسب هذا أنه إن كان واحد قد مات لأجل الجميع فالجميع إذًا ماتوا. وهو مات لأجل الجميع كي لا نعيش فيما بعد لأنفسنا بل للذي مات لأجلنا وقام﴾[1]* ربنا يسوع المسيح. أيضًا ﴿ولكن الذي وُضع قليلاً عن الملائكة يسوع نراه مكللاً بالمجد و الكرامة من أجل ألم الموت لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد﴾ (عبرانيين ٢: ٩).

٣. بعد ذلك يُبيّن (في الآية التالية) لماذا لم يكن ممكنًا لأحد آخر سوى الله "الكلمة" نفسه أن يتجسّد: ﴿لأنه لاق بذاك الذي من أجله الكل، وبه الكل، وهو آت

---

[1] *﴿كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام﴾ (٢كورنثوس ٥: ١٤، ١٥)

بأبناء كثيرين إلى المجد، أن يكمل رئيس خلاصهم بالآلام﴾ (عبرانيين ٢: ١٠) وهو بهذه الكلمات يقصد أن يُبين أنه لم يكن مستطاعًا لأحد آخر أن يرد البشر عن الفساد الذي بدأ غير كلمة الله الذي خلقهم أيضًا من البدء.

٤. ولإمكان تقديم ذبيحة عن الأجساد أخذ "الكلمة" جسدًا مشابهًا. وإلى هذا يشيرون أيضًا في الكلمات التالية: ﴿فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضًا فيهما لكي يُبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس، ويعتق الذين خوفا من الموت كانوا جميعًا كل حياتهم تحت العبودية﴾ (عبرانيين ٢: ١٤،١٥).

٥. لأنه بذبيحة جسده وضع حدًا لحكم الموت الذي كان قائمًا ضدنا، ووضع لنا بداية جديدة للحياة برجاء القيامة من الأموات الذي أعطاه لنا لأنه إن كان بإنسان قد ساد الموت على البشر، لهذا السبب أيضًا بطل الموت، وتمت قيامة الحياة بتأنس كلمة الله، كما يقول ذلك الإنسان الذي حمل سمات المسيح (غلاطية ٦: ١٧) ﴿فإنه إذ الموت بإنسان، بإنسان أيضًا قيامة الأموات. لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيُحيا الجميع﴾ (١كورنثوس ١٥: ٢١ و ٢٢)، وهكذا نحن الآن لا نموت بعد كخاضعين للدينونة بل كأناس يقومون من الموت ننتظر القيامة العامة للجميع، التي سيبيّنها في أوقاتها الله، الذي أتمها، والذي وهبنا إياها (١تي ٦: ١٥).

٦. إذن فهذا هو السبب الأول الذي من أجله تأنس المخلص. على أننا سنرى أيضًا من الأسباب الأخرى التالية أن مجيئه المبارك بيننا كان لابد أن يتم.

الفصل الحادي عشر

سبب آخر للتجسد: إذ عرف الله أن الإنسان بطبيعته لم يكن في مقدوره معرفته، وهبه معرفته لكي يستطيع أن يجد فائدة من وجوده في الحياة. لقد خلقه على صورة "الكلمة" حتى يستطيع بذلك أن يعرف "الكلمة" وبه يعرف الآب. أما هو فإذ احتقر هذه المعرفة، هوى إلى العبادة الوثنية، تاركاً الله غير المنظور، واتبع السحر والشعوذة، وذلك كله رغم إعلانات الله المتعددة عن نفسه.

١. وعندما خلق الله الضابط الكل الجنس البشري بكلمته، ورأي ضعف طبيعتهم، وأنها لا تستطيع من نفسها أن تعرف خالقها، أو تكّون أية فكرة عن الله على الإطلاق، لأنه بينما هو (أي الله) غير مخلوق فقد خلق الكائنات من العدم، وبينها هو روح لا جسد له فقد خلق البشر، بطريقة أدنى، في الجسد، ولأن المخلوقات لم تستطيع بأي حال أن تدرك وتعرف خالقها. لهذا تحنن الله على الجنس البشرى على قدر صلاحه، ولم يتركهم خالين من معرفته، لئلا يروا أن لا منفعة على الإطلاق من وجودهم في الحياة.

٢. لأنه أية منفعة للمخلوقات إن لم تعرف خالقها؟ أو كيف يمكن أن تكون عاقلة بدون معرفة كلمة (وفكر) الآب الذي أوجدهم في الحياة؟ لأنه إن كانت كل معلوماتهم محصورة في الأمور الأرضية فلا شيء يمّيزهم عن البهائم العديمة النطق. نعم ولماذا خلقهم الله لو كان لا يريدهم أن يعرفوه؟

٣. وتفادياً لهذا أعطاهم الله بصلاحه نصيبًا من صورته (ربنا يسوع المسيح) وخلقهم على صورته ومثاله، حتى إذا ما رأوا تلك الصورة أي كلمة الآب، استطاعوا أن يكَونوا فِكرة عن الآب، وإذا ما عرفوا خالقهم عاشوا الحياة الحقيقية السعيدة المباركة.

٤. ولكن البشر، في ضلالهم وتمردهم إذ تهاونوا - رغم كل هذا - بالنعمة التي أعطيت لهم، تركوا الله كلية، واظلمت أنفسهم، لا بمجرد ترك فكرتهم عن الله، بل أيضًا باختراعاتهم الكثيرة التي اخترعوها لأنفسهم الواحد تلو الآخر. لأنهم لم يكتفوا بأن يصوّروا لأنفسهم التماثيل بدل الحق، ويكرموا المخلوقات - التي لم تكن من قبل - دون الله الحي، ويعبدوا المخلوق دون الخالق(رومية ١: ٢٥)، بل والأسوأ من الكل، حوّلوا مجد الله إلى الخشب والحجارة، وإلى كل الأشياء المادية، وإلى الإنسان، بل ذهبوا إلى أبعد من هذا كما بيّنا في الرسالة السابقة.

٥. ولقد بلغ بهم الفجور أنهم تقدموا لعبادة الشياطين، ونادوا بها آلهة، متممين بذلك شهواتهم. فإنهم كما ذكرنا آنفا قدموا محرقات من الحيوانات العديمة النطق، وذبائح من البشر كما يلائمهم، منحدرين بخطوات سريعة وراء نزعاتهم الجنونية.

٦. من أجل هذا كثر بينهم تعليم فنون السحر، وأضلت العرافة البشر في أماكن متعددة، وأصبح كل البشر ينسبون سبب ميلادهم، بل وجودهم إلى الكواكب وكل الأجرام السماوية، إذ لم يفكروا إلا في المنظور.

٧. وبالاختصار لقد أصبح كل شيء مشبعًا بروح الكفر والاستباحة، وصار الله وحده وكلمته غير معروف رغم أنه لم يخفِ نفسه عن نظر البشر، ولا أعلن نفسه بطريقة واحدة فقط، بل على العكس أعلن نفسه لهم بأشكال منوّعة وطرق عِدة.

الفصل الثاني عشر

ومع أن الإنسان خُلق في النعمة إلا أن الله إذ سبق فعلم ميله إلى النسيان، أعد أعمال الخليقة لتذكره بشخصه. والأكثر من ذلك أنه أعد الناموس والأنبياء الذين قصد بخدمتهم أن تكون لكل العالم. ولكن البشر لم يلتفتوا إلا لشهواتهم

١. لأنه وإنْ كانت نعمة مماثلة الصورة الإلهية كافية في حد ذاتها لمعرفة الله الكلمة ومعرفة الآب به، إلا أن الله، العارف ضعف البشر، أعد علاجًا شافياً لإهمالهم، حتى إذا كانوا لا يعنون بمعرفة الله من تلقاء أنفسهم، استطاعوا بواسطة المخلوقات أن يتجنبوا الجهل بالخالق[1]*

٢. وإذ انحدر إهمال البشر قليلاً فقليلاً إلى السفليات، أعد الله مرة أخرى علاجًا لضعفهم هذا بإرسال ناموس وأنبياء، رجال معروفين لديهم، حتى إذا ما تغافلوا عن أن يتطلعوا إلى السماء ليعرفوا خالقهم، استطاعوا أن يتعلموا ممن يعيشون بينهم، لأن البشر يستطيعون أن يتعلموا من البشر بسهولة أكثر من السماويات.

٣. وهكذا كان في استطاعتهم، إذا ما تطلعوا إلى السماء، وأدركوا جمال الخليقة وتناسقها، أن يعرفوا مدبرها – كلمة الآب – الذي يُعَرِف الآب للجميع بسلطانه على كل الأشياء، والذي يحرك كل الأشياء لهذه الغاية عينها، حتى يستطيع الجميع أن يعرفوا الله.

---

[1]* أو "أن يعرفوا الخالق"

٤. أو –إن لم يكن ذلك في مقدورهم– كان ممكنًا لهم أن يلتقوا على الأقل برجال الله القديسين، وبواسطتهم يعرفون الله جابل كل الأشياء، أبا المسيح، ويعرفون أن عبادة الأوثان كفر بالله، ومملوءة من كل فساد.

٥. أو كان يسيرًا عليهم أن يعيشوا حياة فاضلة خالية من كل رجس وفساد لو عرفوا الناموس. لأن الناموس لم يعط لليهود فقط، ولا أرسل الأنبياء إلى اليهود فقط ولكنهم ولو أنهم قد أرسلوا إلى اليهود واضطهدوا من اليهود، إلا أنهم كانوا بمثابة مدرسة مقدسة لكل العالم لتعليم طريق معرفة الله وإرشاد النفس.

٦. ورغمًا عن عِظم جود الله ورحمته فقد خدع البشر بالملذات العابرة والغوايات والإغراءات التي أرسلتها الأرواح الشريرة، ولم يقاوموا الحق فقط، بل ثقّلوا نير أنفسهم بالشرور والخطايا، فلم يعودوا يظهرون بعد كخليقة عاقلة، بل دلت طرقهم على أنهم مجردون من العقل.

الفصل الثالث عشر

وهنا أيضاً: أكان ممكناً أن يسكت، دأن يترك للآلهة الكاذبة تلك العبادة التي أمرنا بتقديمها إليه؟ إن الملك إذا عصته الرعية يذهب إليهم بنفسه بعد أن يرسل إليهم الرسائل. فكم بالأحرى يعيد فينا الله نعمة مماثلة صورته. هذا ما لم يستطع البشر أن يتمموه لأنهم إن هم إلا أنموذج. لهذا كان لزامًا أن يأتي "الكلمة" نفسه ليجدد الخليقة وليبيد الموت في الجسد.

١. وإذ صار البشر مثل البهائم، وسادت غواية الشيطان كل مكان، حتى حجبت معرفة الإله الحقيقي، فما الذي كان يفعله الله؟ أيسكت أمام هذا الأمر الجسيم، ويدع البشر يضلون بتأثير الأرواح الشريرة، ولا يعرفون الله؟

٢. ما هي الفائدة من خِلقة الإنسان أصلاً على صورة الله؟ كان خيرًا له لو أنه خلق على صورة البهائم العديمة النطق من أن يخلق عاقلاً ناطقًا ثم يعيش بعد ذلك كالبهائم.

٣. وهل كانت هنالك ضرورة مطلقًا أن يُعطى الإنسان فكرة عن الله في بداية الأمر؟ لأنه إن كان حتى الآن غير مستعد أن ينالها، فكان الأولى أن لا تُعطى له في البداية.

٤. وماذا ينتفع الله الذي خلقهم، وكيف يتمجد إن كان البشر الذين خلقهم لا يعبدونه، بل يتوهمون أن بعض الخلائق الأخرى هي التي خلقتهم؟ لأنه بهذا يبرهن الله أنه قد خلقهم لا لنفسه بل للآخرين.

٥. ومرة أخرى نسوق هذا التشبيه: إن أي ملك من ملوك الأرض -وهو مجرد إنسان بشري- إذا امتلك بلادًا لا يتركها لآخرين لكي تخدمهم، ولا يتنازل عنها لغيره، ولكنه

ينذر أهلها برسائله، ثم يتصل بهم بواسطة الأصدقاء مرارًا، وإذا اقتضى الأمر يذهب إليهم بشخصه كآخر وسيلة يلجأ إليها لتوبيخهم - كل ذلك لكي لا يخدموا آخرين فيذهب عمله هباء منثورًا.

٦. أفلا يشفق الله بالأولى على خليقته كي لا تضل عنه وتعبد الأشياء الباطلة التي لا وجود لها، ما دام تبيّن أن ضلالهم قد سبب تلفهم وخرابهم، ولم يكن لائقًا أن يهلك أولئك الذين كانوا وقتًا ما شركاء في صورة الله.

٧. إذن فما الذي كان ممكنًا أن يفعله الله؟ وماذا كان ممكنًا أن يتم سوى تجديد تلك الخليقة التي كانت في صورة الله، وبذلك يستطيع البشر مرة أخرى أن يعرفوه؟ ولكن كيف كان ممكنًا أن يتم هذا إلا بحضور نفس صورة الله - ربنا يسوع المسيح؟ كان ذلك مستحيلاً أن يتم بواسطة البشر لأنهم إنما خلقوا على مثال، ولا بواسطة الملائكة لأنهم لم يخلقوا على صورة الله - لهذا أتى كلمة الله بشخصه لكي يستطيع - وهو صورة الآب - أن يجدد خلقة الإنسان على مثال تلك الصورة.

٨. ثم إن ذلك لم يكن ممكنًا أن يتم أيضًا دون القضاء على الموت و الفساد.

٩. ولذلك كان لائقًا بطبيعة الحال أن يأخذ جسدًا قابلاً للموت حتى إذا ما أباد الموت فيه نهائياً أمكن تجديد البشر الذين خلقوا على صورته. إذن لم يكن كفؤًا لهذه الحاجة إلا كلمة الآب.

الفصل الرابع عشر

إن فسد الرسم وجبت إعادته من الصورة الأصلية. وهكذا أتى ابن الآب لكي يطلب ويخلص ويجدد الحياة ولم تكن هنا لك طريقة أخرى ممكنة لأن الإنسان، إذ طمس بصيرته بنفسه، لم يستطع أن يبصر لكي يشفي. وشهادة الخليقة فشلت عن أن تحفظه أو ترده عن ضلاله أما "الكلمة" فهو وحده الذي استطاع أن يتمم هذا ولكن كيف؟ ليس إلا بإعلان نفسه كإنسان.

١. وإن تلطخت الصورة المرسومة على الخشب بالأدران من الخارج وأزيلت، فلابد من حضور صاحب الصورة نفسه ثانية لكي يساعد الرسام على تجديد الصورة على نفس اللوحة الخشبية، لأنه إكرامًا لصورته يعز عليه أن يلقى بتلك اللوحة، وهي مجرد قطعة خشبية، بل يجدد عليها الرسم.

٢. وعلى هذا المثال عينه أتى إلى عالمنا ابن الآب الكلي القداسة، إذ هو صورة الآب، لكي يجدد خلقة الإنسان الذي خلق مرة على صورته – ويجده كضال بمغفرة الخطايا، كما يقول هو نفسه في الإنجيل: ﴿إني جئت لكي أطلب وأخلص الضال﴾(لوقا ١٩ : ١٠). ومن أجل هذا قال أيضًا لليهود: ﴿... إن كان أحد لا يولد من فوق ... لا يقدر أن يدخل ملكوت الله ...﴾ (يوحنا ٣: ٣-٥). وهو لا يقصد بهذا – كما ظنوا– الولادة من امرأة، وإنما قصد التحدث عن إعادة ميلاد النفس، وتجديد خلقتها على مثال صورة الله.

٣. ولكن إن كانت العبادة الوثنية، والمعتقدات الإلحادية، قد سادت العالم، وإن كانت معرفة الله قد أُخفيَت، فمن ذا الذي كان يقوم بتعليم العالم عن الآب؟ إن قال

أحد إن هذه هي مأمورية الإنسان أجبناه إنه لم يكن في مقدور الإنسان أن يجتاز إلى كل مكان تحت الشمس، لأنه ليست لديه القوة الجسدية التي تمكّنه من أن يركض بهذه السرعة، ولا هو يستطيع أن يدّعي المقدرة على القيام بهذا الأمر، ولا هو يستطيع من تلقاء نفسه – مقاومة غواية الأرواح الشريرة وحيلها.

٤. لأنه إذ انحرف الجميع في تيار غواية الشيطان وأباطيل الأوثان، فكيف كان ممكنًا لهم أن يربحوا نفس الإنسان وعقله وهم عاجزون حتى عن رؤية النفس والعقل؟ وكيف يتاح لشخص أن يجدد ما لم يبصره؟

٥. ولعل أحدًا يقول إن الخلقة كانت كافية. ولكن لو كانت الخلقة كافية لما حدثت كل هذه الشرور الجسيمة مطلقًا. لأن الخلقة كانت موجودة فعلاً، وكان البشر لا يزالون يتخبطون في نفس الضلالة عن الله.

٦. فإلى من إذن كانت تدعو الحاجة إلا لكلمة الله الذي يبصر النفس والعقل، والمحرك لكل ما في الخليقة، وبها يجعل معرفة الآب ظاهرة؟ لأن الذي كان يعلّم البشر عن الآب بأعمال عنايته وبتدبيره لكل الأشياء، هو الذي يستطيع أن يجدد ذلك التعليم عينه.

٧. وكيف كان ممكنًا أن يتم هذا؟ رُب امرئ يقول إنه كان ممكنًا له أن يعلن الحق عن الآب مرةً أخرى بنفس الوسيلة السابقة، أي بأعمال الخليقة، ولكن هذه لم تعد وسيلة مضمونة، بل بالعكس، إن البشر سابقًا رفضوا أن يبصروها، ولم يعودوا يشخصون بأبصارهم إلى فوق بل إلى أسفل.

٨. لهذا إذ ابتغى منفعة البشر، كان طبيعياً أن يأتي إلينا كإنسان آخذا لنفسه جسدًا كسائر البشر، ليعلمهم من الأمور الأرضية –أي بأعمال جسده– حتى يستطيع من لا

يدرون أن يعرفوه من أعمال عنايته وسلطانه على كل الأشياء أن يبصروا الأعمال التي عملها بجسده الفعلي، ويعرفوا كلمة الله الحال في الجسد، وفيه يعرفون الآب.

الفصل الخامس عشر

وإذ رأى "الكلمة" أن البشر حصروا في الأمور الجسدية تنازل إلى مستوى تفكيرهم وأخذ جسدًا والتقى بإحساساتهم في منتصف الطريق. وسواء اتجهت ميولهم إلى عبادة الطبيعة، أو البشر أو الأرواح الشريرة، أو الموتى، فقد أظهر نفسه ربًا على كل هؤلاء.

١. وكما أن المعلم الصالح – الذي يعني بتلاميذه – يتنازل إلى مستواهم، إن رأي البعض منهم لم يستفيدوا بالعلوم التي تسمو فوق إدراكهم، ويقدم إليهم تعاليم أبسط، هكذا فعل كلمة الله كما يقول بولس أيضًا ﴿لأنه إذ كان العالم في حكمة الله لم يعرف الله بحكمته(بالحكمة) استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة﴾ (١كورونثوس ١: ٢١).

٢. لأنه إذ رأى أن البشر رفضوا التأمل في الله، وانحطت نظراتهم إلى أسفل كأنهم قد غاصوا في العمق، باحثين عن الله في الطبيعة و في عالم الحسيّات، ومخترعين لأنفسهم إلهة من البشر القابلين للفناء، ومن الجن – لهذا فإن مخلص الكل المحب، كلمة الله أخذ لنفسه جسدًا وكإنسان مشى بين الناس، وقابل احساسات البشر في

منتصف الطريق[1]*، وحتى يستطيع من يتخيلون الله هيولياً[2]* أن يدركوا الحق بما يعلنه. الرب في جسده، ويدركوا[3]* الآب فيه.

٣. وهذا لأن البشر هم بشر، ولأن كل أفكارهم أصبحت بشرية، ففي كل الأمور التي ركزوا فيها احساساتهم وجدوا أنفسهم قد قوبلوا في منتصف الطريق وعلموا الحق من كل ناحية.

٤. فإن نظروا إلى الخليقة بدهشة ورهبة رأوها تعترف بالمسيح ربًا، وإن اتجهت عقولهم نحو البشر ليتوهموا أنهم إلهة وجدوا أن أعمال المخلص -إن قارنوها بأعمال البشر- قد أظهرته وحده ابن الله دون سائر البشر، لأنه لم يقم بينهم قط من استطاع أن يأتي الأعمال التي عملها كلمة الله.

٥. وإن انحرفوا إلى الأرواح الشريرة وجب أن يدركوا بعد أن رأوا "الكلمة" يطردها، أنه وحده هو الله، وأن تلك الأرواح لاشيء.

٦. وإن انحدرت عقولهم فوصلت إلى الأموات، حتى عبدوا الأبطال والآلهة التي تحدث عنها الشعراء، وجب بعد أن رأوا قيامة المخلص، أن يعترفوا أن تلك آلهة كاذبة، وأن الرب وحده هو الإله الحق كلمة الآب، وهو رب الموت أيضًا.

٧. لهذا السبب ولد وظهر كإنسان، ومات، وقام ثانية بعد أن غطى بأعماله كل أعمال البشر الذين سبقوه، حتى إذا ما اتجهت أفكار البشر إلى أية ناحية استطاع أن

---

[1] *أو ﴿وجذب نحوه احساسات كل البشر﴾ حسب النص الحرفي، أو ﴿وأحس بما يحس به كل واحد﴾ حسب راي البعض

[2] *اي ﴿ذا الجسد﴾

[3] *او ﴿يستنتجوا﴾ حسب النص الحرفي

يستردهم من هذه الناحية ويعلمهم عن أبيه الحقيقي، أنه قد جاء كما يقول عن نفسه "لكي أطلب وأخلص ما قد هلك" (لوقا ١٩: ١٠).

الفصل السادس عشر

إذًا فقد جاء لكي يجذب أنظار البشر الحسية إليه كإنسان، وبذلك يقودهم لكي يعرفوه كإله.

١. لأنه إذ انحط فكر البشر نهائياً إلى الأمور الحسية فقد توارى "الكلمة" بظهوره في الجسد، لكي يستطيع كإنسان أن ينقل البشر إلى ذاته، ويركز احساساتهم في شخصه وإذ يتطلع إليه البشر كإنسان، فإنه يقنعهم بالأعمال التي عملها أنه ليس مجرد إنسان بل هو إله أيضًا، وكلمة الله الحق وحكمته.

٢. وهذا أيضًا ما قصد أن يشير إليه بولس إذ يقول ﴿وأنتم متأصلون ومتأسسون في المحبة حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو الطول والعرض والعمق والعلو وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة، لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله﴾ (أفسس ٣ : ١٨ – ١٩).

٣. لأن كل الأشياء امتلأت من معرفة الله بإعلان "الكلمة" نفسه في كل ناحية – فوق وتحت، في العمق والعرض. أما فوق ففي الخليقة، وتحت في التأنس، وفي العمق بنزوله إلى الجحيم، وفي العرض أي في العالم. لقد امتلأت كل الأشياء من معرفة الله.

٤. ولهذا السبب أيضًا فإنه لم يتمم ذبيحة عن الكل بمجرد مجيئه مباشرة بتقديم جسده للموت وإقامته ثانية، لأنه لو فعل ذلك لجعل ذاته غير ظاهرة. ولكنه صير نفسه ظاهرًا جدًا بالأعمال التي صنعها وهو في الجسد. بهذه الأعمال التي عملها، والعلامات التي أظهرها، لم يعد معروفًا بعد كإنسان، بل كالله "الكلمة".

٥. لأن المخلص بتأنسه تمم عمليتي المحبة أولاً: برفع الموت عنا، وتجديدنا ثانيةً ثانياً: بإعلان نفسه وتعريف ذاته بأعماله بأنه كلمة الآب، مدبر وملك الكون، إذ كان غير ظاهر ولا منظور.

الفصل السابع عشر

كيف أن التجسد لم يحد من وجود "الكلمة" في كل مكان، ولم ينقص من طهارته. (تشبيه بالشمس).

١. فلا يتوهمن أحد أنه أصبح محصورًا[١]* في الجسد، أو أن كل مكان آخر أصبح خالياً منه بسبب حلوله في الجسد أو أن العالم أصبح محرومًا من عنايته وتدبيره طالما كان يحرك الجسد. ولكن ما يدعو إلى الغرابة والدهشة أنه، وهو "الكلمة" الذي لا يحويه مكان، فإنه هو نفسه يحوى كل الأشياء، وبينما كان حاضرًا في كل الخليقة فقد كان يتميز عن سائر الكون في الجوهر[٢]*، وحاضرًا في كل الأشياء بقدرته، ضابطًا كل الأشياء، ومظهرًا عنايته فوق كل شئ، وفي كل شئ، وواهبًا الحياة لكل شئ، ولكل الأشياء، مالئا الكل، دون أن يُحد، بل كائنًا في أبيه وحده كلياً.

٢. وهكذا حتى مع حلوله في جسد بشري واهبًا إياه الحياة، فقد كان يمنح الحياة للكون في نفس الوقت بلا تناقض وكان حاضرًا في كل عملية من عمليات الطبيعة وهو خارج الكل. ومع أنه كان معروفًا من أعماله التي عملها في الجسد، كان في نفس الوقت ظاهرًا أيضًا في أعمال الكون.

---

[١]*أو (مغلقًا عليه) حسب بعض الترجمات.

[٢]*أي أنه إذا كان موجودًا في الخليقة كان موجودًا متميزًا ولم يكن من الخليقة ويمكن التمييز بينه وبين الكون الذي يملأه.

٣. والآن إن كانت وظيفة النفس أن تدرك حتى الأشياء الخارجة عن جسدها بقوة الفكر، فإنها لا تستطيع أن تعمل خارج نطاق جسدها، أو تحرك بنفسها الأشياء البعيدة عن الجسد. أي أنه لن يستطيع إنسان أن يحرك الأشياء البعيدة، أو ينقلها من مكانها، بمجرد التفكير فيها. كما أنه لن يستطيع إنسان، وهو جالس في بيته أن يحرك الشمس، أو يجعل السماء تدور، بمجرد التفكير في الأجرام السماوية. ولكنه إنما يراها تتحرك وتوجد دون أن يكون له أي تأثير عليها.

٤. أما كلمة الله في طبيعة تأنسه، فلم يكن كذلك، إذ لم يكن محصورًا في جسده، لكنه كان بالأحرى يستخدم الجسد، ولذا فإنه لم يكن حالاً فيه فحسب، بل كان حالاً فعلاً في كل شئ. وبينما كان خارج الكون فقد كان في أبيه وحده مستقرًا.

٥. وهذا هو وجه الغرابة أنه بينما كان يتصرف كإنسان، كان كلمة الله يُحيي كل الأشياء، وكابن كان قائمًا مع أبيه. ولذلك عندما ولدته العذراء لم يعتره أي تغير، ولا تدنس[1]* بحلوله في الجسد، بل بالعكس إنه عديم الفساد.

٦. وعندما كان في العالم لم يشاركه في طبيعته[2]*، بل بالعكس استمدت منه كل الأشياء الحياة والقوت.

٧. لأنه إن كانت الشمس التي خلقها هو والتي نراها، وهي تدور في السماء، لا تتدنس بمجرد لمسها الأجساد التي على الأرض، ولا تنطفئ بظلمتها، ولكنها بالعكس تنيرها وتطهرها أيضًا، فبالأولى جدًا كلمة الله الكلي القداسة، بارئ الشمس وربها، لم يتدنس قط بمجرد ظهوره في الجسد، بل بالعكس، لأنه عديم الفساد، فقد أحيا

[1] *وفي بعض الترجمات (احتجب مجده).

[2] *(لم يستمد منه شيئًا) حسب بعض الترجمات.

وطّهر الجسد الذي كان في حد ذاته قابلاً للفناء، لأنه قيل عنه: ﴿الذي لم يفعل خطية ولا وُجد في فمه مكر﴾ (١ بطرس ٢: ٢٢).

الفصل الثامن عشر

كيف عمل كلمة الله وقوته في أعماله البشرية، بإخراج الشياطين، وبالمعجزات، وبميلاده من العذراء.

١. لهذا فإن الكُتاب الذين كتبوا بإرشاد الروح القدس عن هذا الأمر، عندما تحدثوا عنه بأنه أكل أو بأنه ولد، فإنهم يقصدون أن الجسد كجسد ولد، وهو الذي كان يقتات بالطعام المناسب لطبيعته. أما الله، "الكلمة" نفسه، الذي اِتّحد بالجسد، فبينما كان يضبط كل الأشياء، كان أيضًا يظهر بأعماله التي عملها في الجسد أنه لم يكن إنسانًا، بل كان الله " الكلمة" أما هذه الأمور فإنها تذكر عنه، لأن الجسد الفعلي الذي أكل، وولد وتألم لم يكن إلا جسد الرب نفسه، ولأنه إذ تأنس، كان من اللائق أن تنسب هذه الأمور إليه كإنسان، لكي يتبيّن أنه اِتّخذ جسدًا بالحق لا بالخيال.

٢. وكما أنه بواسطة هذه الأمور عُرف أنه حاضر بالجسد، كذلك أعلن نفسه بواسطة الأعمال التي عملها في الجسد أنه ابن الله. لهذا هتف لليهود غير المؤمنين ﴿إن كنت لست أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي، ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيَّ و أنا فيه﴾ (يوحنا ١٠ : ٣٧، ٣٨).

٣. وكما أنه يعرف من أعمال الخليقة ولو كان غير منظور، هكذا إذ تأنس يمكن أن يعرف من أعماله -وهو غير منظور في الجسد- بأن من يعملها لا يمكن أن يكون إنسانًا بل قوة الله وكلمته.

٤. فطرده الأرواح الشريرة، وخروجها في الحال، لا يمكن أن يكونا عمل إنسان بل عمل الله. ومن ذا الذي بعد أن رآه يشفي الأمراض، الخاضع لها الجنس البشري،

يتجاسر ويقول إنه لا يزال إنسانًا وليس إلهًا؟ فقد طهّر البرص، وجعل العرج يمشون، والصم يسمعون، والعمى يبصرون، وبالإجمال طرد من كل البشر كل مرض وكل ضعف. من كل هذه كان ممكنا لأبسط إنسان أن يرى لاهوته. لأنه من ذا الذي يراه يرد للإنسان ما نقصه منذ ولادته، ويفتح عيني الأعمى منذ ولادته، ولا يدرك أن طبيعة البشر كانت خاضعة له، وأنه هو صانعها وبارئها. لأنه واضح جدًا أن من رد للإنسان ما كان ينقصه منذ ولادته، لابد أن يكون أيضًا رب ميلاد البشر الطبيعي[1]*.

٥. ولذلك فإنه، وهو نازل إلينا، صّور لنفسه جسدًا من عذراء، لكي يقدم للجميع برهانا قوياً على لاهوته، باعتبار أن من صّور هذا الجسد هو أيضًا مكون سائر الأشياء. لأنه من ذا الذي يرى جسدًا يخرج من عذراء وحدها بدون رجل، ولا يدرك أن من ظهر فيه لابد أن يكون صانع ورب باقي الأجساد أيضًا.

٦. أو من ذا الذي يرى مادة الماء تتحول خمرًا ولا يدرك أن من فعل هذا لابد أن يكون هو رب وصانع مادة كل المياه؟ ولأجل هذه الغاية أيضًا مشى على المياه كسيدها؟ ومشى كما على أرض ناشفة، لكي يقدم لمن رآه برهانًا على سلطانه على كل الأشياء. وعندما أطعم جمعًا غفيرًا من قليل، ومن تلقاء ذاته قدم الكثير من العدم، فأكل خمسة آلاف نفس من خمسة أرغفة وشبعوا وفضل عنهم الكثير، ألم يظهر ذاته بأنه هو الرب نفسه الذي يشمل كل الأشياء بعنايته.

---

[1] *(رب تكوين البشر) حسب بعض الترجمات.

الفصل التاسع عشر

وإذ لم تكف الطبيعة للتأثير على الإنسان كان يجب أن يتعلم معرفة الله من ناسوت المسيح القدس حيث اعترفت كل الطبيعة بلاهوته خصوصًا عند موته.

١. كل هذا قد سُرّ المخلص أن يفعله، حتى بعد ما عجز البشر عن إدراك عنايته المعلنة في الكون، أو عن إدراك لاهوته المعلن في الخليقة، يستطيعون على أي حال أن يستردوا بصيرتهم من أعمال جسده، ويحصلوا بواسطته على معرفة الآب. ويتبيّنوا – كما قلت – من بعض حالات خاصة عنايته بالكل.

٢. لأنه من ذا الذي يرى سلطانه على الأرواح النجسة أو من ذا الذي يرى الأرواح النجسة تعترف بأنه هو ربها، ويشك بعد ذلك في أنه هو ابن الله وحكمته وقوته ؟

٣. لأنه جعل حتى الخليقة تخرج عن صمتها. أليس مدهشًا أن تذكر أنه حتى في موته، أو بالحري في انتصاره الفعلي في الموت أعني في الصليب، إعترفت كل الخليقة بأن من ظهر وتألم في الجسد لم يكن مجرد إنسان بل ابن الله ومخلص الكل؟ فالشمس أخفت وجهها، والأرض تزلزلت، والجبال تشققت، وسادت كل البشر رهبة شديدة. كل هذه الأمور بيّنت أن المسيح الذي على الصليب هو الله، إذ صارت كل الخليقة خاضعة له خضوع العبيد، وشهدت برعبها وفزعها لحضور سيدها. وهكذا أعلن "الكلمة" نفسه وقتئذ للبشر بأعماله.

إن علينا في الخطوة التالية لنا في هذا البحث أن نتأمل ونتحدث عن نهاية حياته بالجسد، وعن طبيعة موت جسده، سيما وأنه في هذا يتلخص إيماننا وهذا هو الشغل الشاغل لأفكار الجميع بلا استثناء، حتى يتضح لك يقينًا أن المسيح هو الله وابن الله.

الفصل العشرون

إذن فلن يستطيع أحد أن يهب عدم الفساد إلا الخالق، ولن يستطيع أحد أن يرد مثال الله إلا صورته، ولن يستطيع أحد أن يحيى إلا رب الحياة، ولن يستطيع أحد أن يعلم إلا الكلمة. وهو ـ لكي يفي ديْن الموت الذي علينا كان لابد أن يموت عنا أيضًا، ويقوم ثانية كباكورة لنا من بين الأموات. إذن كان يجب أن يكون جسده قابلاً للموت، وأن يكون في نفس الوقت غير فاسد.

١. لقد أوضحنا جزئياً – على قدر الاستطاعة وعلى قدر ما أمكننا فهمه – سبب ظهوره في الجسد، أنه لم يكن ممكنًا أن يحول الفاسد إلى عدم فساد إلا المخلص نفسه، الذي خلق كل شئ من العدم ولم يكن ممكنًا أن يعيد للبشر صورة الله ومثاله إلا صورة الآب، ولم يكن ممكنًا أن يلبس المائت عدم الموت إلا ربنا يسوع المسيح الذي هو الحياة، ولم يكن ممكنًا أن يُعلم البشر عن الآب، ويقضي على عبادة الأوثان إلا "الكلمة" الضابط الكل، الذي هو ابن الآب الوحيد الحقيقي.

٢. ولكن لما كان ضرورياً أيضًا وفاء الديْن المستحق على الجميع، لأنه – كما بيّنت سابقًا[1]*– كان الجميع مستحقين الموت، الأمر الذي من أجله – كسبب جوهري حقيقي – أتى المسيح بيننا، لأجل هذه الغاية. وبعد تقديم البراهين الكثيرة عن لاهوته بواسطة أعماله – قدم ذبيحة نفسه أيضًا عن الجميع إذ سلم هيكله للموت

---

[1] *أنظر الفصل السابع.

عوضًا عن الجميع، أولاً لكي يحرر البشر من معصيتهم القديمة، وثانياً لكي يظهر أنه أقوى من الموت، بإظهاره أن جسده عديم الفساد كباكورة لقيامة الجميع.

٣. ولا تتعجب إن كنا نكرر مرارًا نفس الكلمات في نفس الموضوع[1]*، لأننا ما دمنا نتحدث عن مشورة الله، وجب علينا توضيح المعنى الواحد على وجوه مختلفة، لكي لا يُظن بنا أننا تركنا ناحية من النواحي كأننا نتكلم عن عجز وتقصير لأنه خير لنا أن نُعَّرض للوم والانتقاد بسبب التكرار من أن نترك ناحية من النواحي كان يجب تفصيلها.

٤. وما دام الجسد قد اشترك في ذات الطبيعة مع الجميع لأنه كان جسدًا بشرياً، وإن كان قد أخذ من عذراء فقط بمعجزة فريدة، فكان لابد أن يموت أيضًا كسائر البشر نظرائه، لأنه كان جسدًا قابلاً للموت. ولكنه بفضل اتحاده "بالكلمة"، لم يعد خاضعًا للفساد بمقتضى طبيعته، بل خرج عن دائرة الفساد بسبب الكلمة الذي أتى ليحل فيه.

٥. هكذا تم عملان عجيبان في الحال: أولهما إتمام موت الجميع في جسد الرب. والثاني القضاء على الموت والفساد كلية بفضل اتحاد الكلمة بالجسد[2]* لأنه كان لابد من الموت، وكان لابد أن يتم الموت نيابة عن الجميع، لكي يُوفي الديْن المستحق على الجميع.

---

[1]*أنظر فصل ٨:٤ و ١٠:٥ ... الخ. قال أحد الكتاب : "من خواص أثناسيوس أن يكرر الكلام وأن يعتذر عن التكرار".

[2]*بموته أمات الموت وقام منتصرًا.

٦. ولما كان مستحيلاً – كما قدمت سابقًا أن يموت "الكلمة" لأنه غير قابل للموت، فقد أخذ لنفسه جسدًا قابلاً للموت حتى يمكن أن يقدمه كجسده نيابة عن الجميع، وحتى إذا ما تألم نيابة عن الجميع باتحاده بالجسد ﴿... يُبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس ويعتق أولئك الذين خوفًا من الموت كانوا جميعًا كل حياتهم تحت العبودية﴾ (عبرانيين ٢:١٤ و ١٥).

الفصل الحادي والعشرون

لقد أبيد الموت بموت المسيح. ولكن لماذا لم يمت المسيح سرًا، أو بكيفية أكثر وقارًا واحترامًا، إنه لم يكن خاضعًا للموت الطبيعي، بل كان. لابد أن يموت بأيدي غيره ولماذا مات إذن، نعم إنه لأجل هذا أتى، ولأجل هذا وحده. وإلا فلم يكن ممكنًا أن يقوم من بين الأموات.

١. والآن، إذ مات عنا مخلص الجميع، فإننا نحن الذين بالمسيح لا نموت بعد، كما كان الوضع قديمًا حسب وعيد الناموس، لأن هذا الحكم قد بطل. وإذ بطل الفساد، وأُبيد بنعمة القيامة، فإننا من ذلك الوقت إنما ننحل وفقًا لطبيعة أجسادنا الفانية، في الوقت الذي حدده الله لكل واحد، حتى يمكن أن ننال قيامة أفضل.

٢. لأننا – كالبذور التي تلقى في الأرض – لا نهلك بانحلالنا، بل نزرع في الأرض لنقوم ثانية، إذ أبيد الموت بنعمة القيامة[1]* للجميع ﴿لأن هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم موت. ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد، ولبس هذا المائت عدم موت، فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتُلع الموت إلى غلبة. أين شوكتك يا موت، أين غلبتك يا هاوية. أما شوكة الموت فهي الخطية﴾ (١كورنثوس ١٥ : ٥٣ – ٥٦)

٣. ولعل متسائلاً يقول : إن كان لابد له أن يسلم جسده للموت نيابة عن الجميع، فلماذا لم يضع هذا الجسد كأي إنسان سرًا عوضًا عن أن يُشَّهر به إلى هذا الحد

[1] *أو "صار كفيل (أو ضامن) القيامة"

ويموت مصلوبًا، إنه كان أكثر لياقة أن يسلم جسده بكرامة ووقار من أن يحتمل موتًا مشينًا كهذا.

٤. وردًا على هذا أقول إن اعتراضًا كهذا، لا يمكن إلا أن يكون بشرياً، بينما ما فعله المخلص هو إلهي حقًا، ولائق بلاهوته لأسباب كثيرة. أولاً أن الموت الذي يصيب البشر يأتيهم لأنه يتناسب مع ضعف طبيعتهم، فإنهم لا يستطيعون البقاء على حالٍ واحدةٍ، لكنهم ينحلون مع الزمن، بسبب هذا أيضًا تنتابهم الأمراض ثم يموتون. أما الرب فإنه ليس ضعيفًا، بل هو قوة الله، وهو الحياة عينها.

٥. ولو أنه أسلم جسده في مكان ما سرًا، وعلى فراش كعادة البشر، لأعتبر أنه فعل ذلك أيضًا نظرًا لضعف طبيعته، ولأنه لم يكن فيه ما يميزه عن سائر البشر. أما وأنه أولاً كان الحياة وكلمة الله، وثانياً كان من الضروري أن يتم حكم الموت نيابة عن الجميع، لهذا نال الجسد منه قوة لأنه هو القوة، وهو الحياة.

٦. هذا من جهة، ومن الجهة الأخرى، فما دام الموت لابد أن يتم، فإنه لم يسع بنفسه إلى الفرصة التي بها يتمم ذبيحته، بل قبلها من أيدي الآخرين. لأنه لم يكن لائقًا أن يرقد الرب في فراش المرض وهو الذي شفي أمراض الآخرين، ولم يكن لائقًا أن تنحل قوة ذلك الجسد الذي به قوّى ضعفات الآخرين.

٧. ولماذا لم يتجنب الموت كما تجنب المرض ذلك لأنه لهذا اتخذ الجسد، ولم يكن لائقًا أن يمنع الموت لئلا تمتنع القيامة أيضًا. كما أنه لم يكن لائقًا أن يسبق المرض موته لئلا ينسب الضعف لذاك الذي كان في الجسد. ولكن ألم يكابد الجوع؟ نعم إنه جاع كما يليق بخواص جسده، على أنه (أي الجسد)، لم يمت من الجوع من أجل الرب الذي لبسه. لهذا فإنه وان كان قد مات لفداء الجميع، لكنه لم يرَ

فسادًا. لأن جسده قام ثانية سليمًا جدًا، إذ لم يكن سوى جسد ذاك الذي هو الحياة ذاتها.

الفصل الثاني والعشرون

ولماذا لم يحفظ جسده من اليهود فيمنع عنه الموت؟

١- لأنه لم يكن يليق به أن يُوقِع الموت على نفسه أو أن يتجنبه.

٢- لأنه أتى ليقبل الموت الذي استحق على الآخرين، لهذا كان يجب أن يكون أكيدًا ليضمن حقيقة قيامته، وأيضًا لأنه لم يكن ممكنًا أن يموت بسبب الضعف، لئلا يهزأ به في شفاه الآخرين.

١. ولعل أحدًا يقول: كان الأفضل أن يختفي من مؤامرات اليهود لكي يحفظ جسده بالكلية من الموت. فليسمع مثل هذا أن ذلك أيضًا لم يكن لائقًا بالرب لأنه كما لم يكن لائقًا بكلمة الله – وهو الحياة – أن يوقع الموت على جسده بنفسه، كذلك لم يكن لائقا أن يهرب من الموت الذي يأتي به الآخرون، بل بالحري أن يتابعه حتى النهاية. ولهذا السبب فإنه بطبيعة الحال لم يسلم جسده من تلقاء ذاته كما إنه لم يهرب من اليهود عندما تآمروا ضده.

٢, على أن ذلك لم يُبيّن ضعف "الكلمة"، بل بالعكس أكد أنه هو المخلص وهو الحياة، لأنه أولاً انتظر الموت ليبيده، وثانياً عجّل بإتمام الموت المقدم إليه لأجل خلاص الجميع.

٣. وفضلاً عن ذلك فإن المخلص لم يأت لكي يتمم موته هو، بل موت البشر[1]* لذلك لم

[1] *أي الموت عن البشر.

يضع جسده بموت أتى به من نفسه[1] * لأنه هو الحياة، ولم يكن قابلاً للموت، بل قَبِل الموت الذي أتاه من البشر، لكي يُبيده نهائياً عندما يلتقي به في جسده.

٤. ومما يلي أيضًا، يستطيع المرء أن يدرك أن جسد الرب كان يليق به أن يتمم هذه الغاية. فالرب كان مهتمًا بصفة خاصة بقيامة الجسد التي كان معتزمًا أن يكملها. لأنه كان يريد أن يقدمها كدليل على انتصاره على الموت، ويؤكد للجميع أنه أزال كل أثر للفساد، ومن ثم منح أجسادهم عدم الفساد من ذلك الحين، ولهذا حفظ جسده غير فاسد كضمانة وبرهان على القيامة التي تنتظر الجميع.

٥. ومرة أخرى نقول إنه لو كان جسده قد تعرض للمرض، وانفصل عنه "الكلمة" أمام نظر الجميع، لكان غير لائق بمن شفي أمراض الآخرين أن يسمح لآنيته أن تموت بالمرض. فكيف يصدق إذن في شفائه الأمراض لو كان هيكله[2] قد تعرض للمرض[3]*، لأنه إما أن يهزأ به كأنه لا قدرة له على شفاء الأمراض، أو إن كان قادرًا ولم يفعل شيئًا (ليرد المرض عن جسده)، ظن به أنه عديم الشفقة على الآخرين أيضًا.

---

[1]* انظر (يوحنا ١٠: ١٧، ١٨).

[2]*(متى ٢٧ : ٤٠).

[3]*أي مع إنه مدعم باتحاده به.

الفصل الثالث والعشرون

ضرورة الموت علانية لأجل عقيدة القيامة.

١. وحتى لو كان قد أسلم جسده سرًا ، ومن تلقاء ذاته بدون مرض ولا ألم، ﴿... في زاوية﴾ (أعمال ٢٦: ٢٦)، أو في بيداء أو منزل أو في أي مكان، وبعد ذلك ظهر بغتة وقال إنه قام من الأموات، لخيّل للجميع أن كلامه كالهذيان (لوقا ٢٤: ١١)، ولما صدقوا كلمة واحدة مما قاله عن القيامة، لأنه لم يكن هنالك من يشهد عن موته. والآن يجب أن يسبق الموت القيامة، لأنه لا يمكن أن تكون قيامة ما لم يسبقها الموت. ولو كان موت جسده قد تم سرًا في أي مكان، ولم يكن ظاهرًا، ولم يتم أمام شهود، لكانت قيمته أيضًا قد اختفت ولم يقم عليها دليل.

٢. ولماذا يسمح أن يكون موته سرًا إن كان بعد أن قام أعلن قيامته للملأ؟ وإن كان قد طرد الأرواح الشريرة أمام الجميع، وفتح عيني الأعمى منذ ولادته، وحوّل الماء خمرًا، حتى يؤمن الجميع بهذه الوسائط بأنه هو كلمة الله، فلماذا لا يعلن أمام الجميع عدم فساد جسده ليؤمنوا بأنه هو الحياة؟

٣. وكيف كان ممكنًا أن يجسر (يتجرأ) تلاميذه على التحدث عن القيامة إن لم يستطيعوا القول إنه مات أولاً؟ وكيف كان ممكنًا أن يصدق كلامهم بأن الموت تم أولاً ثم القيامة إن لم يوجد بين من يكلمونهم بجرأة من يشهد بموته؟ فرغمًا عن أن الموت والقيامة قد حدثا أمام الجميع فإن الفريسيين في ذلك الوقت لم يؤمنوا بل أكرهوا حتى الذين شهدوا القيامة على إنكارها. ولو أن هذه الأمور تمت سرًا فما أكثر الحجج التي كانوا يخترعونها دفاعًا عن عدم إيمانهم.

٤. وكيف كان ممكنًا إقامة الدليل على تحقيق غاية الموت وغلبته، ما لم يكن قد تحداه أمام أعين الجميع، وأظهر بأنه ميت، وبأن شوكته في المستقبل قد أبطلت، وذلك بعدم فساد جسده؟

الفصل الرابع والعشرون

الرد على بعض اعتراضات أخرى. إنه لم يختر طريقة موته لأنه كان يجب أن يبرهن على أنه قاهر للموت في كل صوره وأشكاله. مثل المصارع القوى. الموت الذي اختير للإمعان في تحقيره برهن على نصرته عليه. وفوق ذلك حفظ جسده سليماً غير مقسم

١. ونراه ضرورياً أن نرد مقدمًا على ما قد يعترض به الآخرون، فقد يقول قائل : إن كان لابد أن يتم موته أمام الجميع، وبشهادة الشهود، لكي تصدق رواية قيامته، فكان الأفضل على أيّة حال أن يدبر لنفسه موتًا مجيدا تخلصًا من عار الصليب.

٢. ولكن حتى لو فعل هذا، لأعطى فرصة للتشكك في شخصه، بأنه لم يكن يقوى على كل موت، بل على الموت الذي اختاره لنفسه[١]* فقط، ولو جدت هنالك في نفس الوقت علة لعدم الإيمان بالقيامة أيضًا. لهذا أتى الموت إلى جسده، ليس باختياره هو بل بمشورة أعدائه، حتى إذا ما أتوه بأي شكل من الموت استطاع أن يُبيده كلية.

٣. وكما أن المصارع النبيل مهما كان مقتدرًا في الذكاء والشجاعة، لا يختار خصومه الذين يبارزهم، لئلا يشك في أنه يرهب أشخاصًا معينين منهم، بل يترك الاختيار للمشاهدين، سيما إذا اتفق بأن يكونوا أعداءه، حتى إذا ما اختاروا أياً كان استطاع أن ينتصر عليه فيؤمن الكل بأنه قد بارز الجميع، كذلك الحال أيضًا مع ربنا ومخلصنا يسوع المسيح حياة الجميع فإنه لم يختر لجسده موتًا معينًا لئلا يظن بأنه خشي شكلاً

---

[١]* "أُختير له" حسب بعض الترجمات.

آخر من الموت، ولكنه قَبِلَ موت الصليب، واحتمل الموت الذي أوقعه عليه الآخرون، سيما أعداؤه، والذي ظنوه مرعبًا ومحقرًا ولا يمكن التغلب عليه، حتى إذا ما أباد ذلك الموت أيضًا، آمن الجميع بأنه هو الحياة، وأبيد سلطان الموت نهائياً.

٤. وهكذا تم أمر عجيب ومدهش، لأن الموت الذي اختاروه له، للمبالغة في تحقيره، كان بالذات علامة للانتصار على الموت نفسه. ولهذا لم يمت موت "يوحنا" بقطع رأسه وفصله عن جسده ولا مات موت "إشعياء" بنشر جسده وشطره نصفين، وذلك لكي يحفظ جسده سليمًا غير مجزأ حتى في موته، ولكي لا تعطى حجة للذين يريدون تجزئة الكنيسة وانقسامها.

الفصل الخامس والعشرون

ولماذا تم الموت بالصليب من بين كل أنواع الموت ؟

١ـ لأنه كان يجب أن يحمل عنا اللعنة.

٢ـ لأنه بسط يديه على الصليب لكي يوحد الجميع ـ اليهود والأمم في شخصه.

٣ـ لأنه انتصر على "رئيس سلطان الهواء" في منطقته، مخلياً الطريق إلى السماء، وفاتحاً لنا الأبواب الدهرية.

١ . وهكذا نستطيع أن نجد إجابات كثيرة ردًا على" الذين هم من الخارج، الذين يكدسون الاحتجاجات لأنفسهم. وإن قام من شعبنا من يتساءل – ليس حبًا في الجدل والمحاورة، بل حبًا في العلم والمعرفة، لماذا لم يمت بأي شكل آخر غير الصليب، فليعلم بأنه لم تكن هناك طريقة أخرى أصلح لنا منها.

٢. لأنه إن كان قد أتى ليحمل عنا اللعنة الموضوعة علينا، فكيف كان ممكنًا أن يصير لعنة (غلاطية ٣ :١٣)، ما لم يمت موت اللعنة الذي هو الصليب. لأن هذا هو المكتوب تمامًا ﴿... ملعون كل من علق على خشبة﴾(تثنية ٢١ : ٢٣، غلاطية ٣ : ١٣).

٣. وأيضًا إن كان موت الرب قد صار كفارة عن الجميع بموته ﴿...نقض حائط السياج المتوسط﴾ (أفسس ٢: ١٤)، وصارت الدعوة لجميع الأمم فكيف كان ممكنًا أن يدعونا إليه لو لم يصلب؟ لأنه لا يمكن أن يموت إنسان وهو باسط ذراعيه إلا على الصليب. لهذا لاق بالرب أن يحتمل هذا الموت ويبسط يديه، حتى باليد الواحدة

يجتذب الشعب القديم، وبالأخرى يجتذب الذين هم مـن الأمم، ويتحّد الاثنان في شخصه.

٤. هذا هو ما قاله بنفسه، مشيرًا إلى أية ميتة كان مزمعًا أن يفدى بها الجميع ﴿وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلى الجميع﴾ (يوحنا ١٢ : ٣٢).

٥. ومرة أخرى نقول: هوى من السماء، الشيطان عدو جنسنا فإنـه يجـول في أجوائنا السفلية، وفيها يتسلط على الأرواح زميلاته التي اشتركت معه في المعصية، ويحاول لا أن يغوى الذين ينخدعون بواسطة هذه الأرواح فحسب، بل أن يعطـل أيضًا الذيـن يريدون أن يرتفعوا إلى فـوق. وعن هـذا يقـول الرسـول : ﴿... حسـب رئيس سلطان الهواء الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصيـة﴾ (أفسس ٢ : ٢)، مع أن الـرب جاء ليطـرح الشيطان إلى أسفل، ويطهر الجـو، ويهيئ لنا الطريـق المرتفـع إلى السـماء ﴿... بالحجاب أي جسده﴾ (عـبرانيين ١٠ : ٢٠)، كما قـال الرسـول وهـذا يستلزم أن يكون بالموت. وبأي موت كان ممكنًا أن يتم هذا إلا بـالموت الـذي يتم في الهـواء، أعني بالصليب؟ لأن من مات على الصليب هو وحده الذي يمـوت معلقًا في الهـواء. لهذا كان لائقًا جدًا أن يموت المسيح هذا النوع من الموت.

٦. وإذ رُفع هكذا طهّر الهواء من خبث الشيطان، ومن خبث الأرواح النجسة بجميع أنواعهـا، كمـا يقـول : ﴿... رأيـت الشـيطان سـاقطًا مثـل الـبرق مـن السـماء﴾ (لوقا ١٠ : ١٨)، وفتـح طريقًا جديدًا للصعود إلى السماء، كمـا يقـول مـرة أخـرى : ﴿ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكـم وارتفعن أيتها الأبـواب الدهريات﴾[1]* لأنــه لم يكـن

[1] *حسبما ورد بالترجمـة السبعينية. أما الترجمـة العادية ﴿ارفعن أيتها الأرتـاج رؤوسكن، وارتفعن أيتها الأبـواب الدهريات ...﴾ (مزمور ٢٤ : ٧). الرتج هو الباب العظيم.

"الكلمة" نفسه هو المحتاج لانفتاح الأبواب، إذ هـو رب الكل، كما أنـه لم يكـن أي شيء من خليقته مغلقًا في وجه صانعه، بل نحن الذين كنا في حاجة إلى ذلك، نحن الذين حملنا في جسده لأنه كما قدم جسده للموت عن الجميع. هكذا بجسده أيضًا أعد الطريق للصعود إلى السموات مرة أخرى.

الفصل السادس والعشرون

أسباب قيامته في اليوم الثالث:

١ـ لم تتم قبل ذلك لئلا يشك في أنه مات موتاً حقيقياً.

٢ـ ولا بعد ذلك

أولا: لكي يحتفظ بسلامة جسده.

ثانياً: لكي لا يعلق نفوس التلاميذ طويلاً.

ثالثاً: لكي لا ينتظر حتى يتشتت الذين شهدوا موته، أو تتلاشى من الذاكرة حقيقة الموت.

١. إذن قد اتّضح أن الموت الذي تم على الصليب من أجلنا كان لائقًا وموافقًا، وأن الباعث له كان معقولاً من جميع الوجوه، ولعله من العدل أن نقرر أخيرًا، أنه لم تكن هنالك طريقة أخري يتم بها خلاص الجميع إلا بالصليب. لأنه حتى على الصليب، لم يترك نفسه مستترًا عن العيان. والأكثر من ذلك أنه بعد أن جعل الطبيعة تشهد بحضور بارئها، لم يترك هيكل جسده يبقى طويلاً بل حالما أظهر أنه مات، باحتكاك الموت به أقامه فورًا في اليوم الثالث حاملاً معه -كعلامة للظفر والغلبة على الموت- عدم الفساد، وعدم إمكانية التألم اللذيْن حصل عليهما جسده.

٢. لقد كان في استطاعته أن يقيم جسده بعد الموت مباشرة، ويظهره حياً. ولكن المخلص، بحكمة وبُعد نظر لم يفعل ذلك أيضًا لئلا يقول أحد إنه لم يمت على الإطلاق، أو أن الموت لم يمسسه كلية، لو أنه أظهر القيامة توًا.

٣. ولو كانت فترة موته وقيامته يومين فقط، لما ظهر مجد عدم فساده هذا، ولكي يؤكد موت الجسد، بقى "الكلمة" يومًا آخر متوسطًا بين هذين اليومين وفي اليوم الثالث أظهره للجميع عديم الفساد.

٤. إذن فلكي يقيم الدليل على موت الصليب، أقام جسده في اليوم الثالث.

٥. ولئلا يكذب إن أقامه بعد مدة طويلة، بعد أن يكون قد فسد كلية، كأن يظن بأنه استبدله بجسد آخر – لأن الإنسان بمرور الزمن قد يشك فيما سبق أن رآه، وينسى ما قد تم فعلاً– لهذا السبب لم يلبث أكثر من ثلاثة أيام كما أنه لم يعلق طويلاً نفوس الذين سبق فأخبرهم عن القيامة.

٦. ولكن إذ كانت أقواله مازالت ترن في آذانهم، وكانت أبصارهم ما زالت شاخصة، وعقولهم مفكرة حائرة، وإذ كان الذين قتلوه لا يزالون أحياء على الأرض، وفي نفس المكان، ويستطيعون أن يشهدوا بموت جسد الرب، فقد أظهر ابن الله جسده – الذي كان قد مات – بعد فترة ثلاثة أيام غير مائت وعديم فساد، فتبيّن للجميع أن الموت لم يصب الجسد بسبب أي ضعف طبيعي "للكلمة" الذي حل فيه، بل لكي يُباد الموت فيه بقوة المخلص.

الفصل السابع والعشرون

التغيير الذي أتمه الصليب في علاقة الموت بالإنسان.

١. فإن كان كل تلاميذ المسيح يحتقرون الموت، ويتحدونه، ولا يعودون بعد يخشونه، بل بعلامة الصليب، وبالإيمان بالمسيح يدوسونه كميت، كان هذا برهانًا غير يسير، بل بالحري بيّنة واضحة، على أن الموت قد أبيد، وأن بالصليب صارت النصرة عليه، وأنه لم يعد له سلطان، بل مات (الموت) موتًا حقيقياً.

٢. فقديمًا -قبل الظهور الإلهي للمخلص- كان الموت مرعبًا حتى للقديسين[1]*، وكان الكل ينوحون على الأموات كأنهم هلكوا. أما الآن، وقد أقام المخلص جسده، لم يعد الموت مرعبًا بعد، لأن كل الذين يؤمنون بالمسيح يدوسونه كأنه لا شيء، ويفضلون أن يموتوا عن أن ينكروا إيمانهم بالمسيح لأنهم يعلمون يقينًا أنهم عندما يموتون لا يهلكون، بل يبدأون الحياة فعلاً، ويصبحون عديمي الفساد بفضل القيامة.

٣. أما ذلك الشيطان، الذي بخبثه فرح بالموت قديمًا، فإنه الآن، إذ انحلت أوجاعه، قد بقي هو الوحيد الميت موتًا حقيقياً. والدليل على ذلك أن الناس قبل أن يؤمنوا بالمسيح يرون الموت مفزعًا ومرعبًا، ويجبنون أمامه. ولكنهم عندما ينتقلون إلى إيمان المسيح وتعاليمه، يحتقرون الموت اِحتقارًا عظيمًا لدرجة أنهم يسارعون إليه، ويصيرون شهودًا للقيامة التي انتصر بها المخلص عليه. بينما تراهم لا يزالون في عنفوان الشباب، إذا بهم يسارعون إلى الموت، لا الرجال فقط، بل النساء أيضًا،

[1]*أنظر مزمور ٥٥: ٤، ٨٩ : ٤٧، أيوب ١٨ : ١٤.

ويدربون أنفسهم بأنظمة جسدية للجهاد ضده. ووصل الضعف بالشيطان لدرجة أن النساء أنفسهن، اللواتي قد خدعهن قديمًا، يهزأن به الآن كميت ومنحل القوى.

٤. وكما أنه عندما يغلب الظالم أمام ملك حقيقي، وتوثق يداه ورجلاه، يصبح هزأة لدى كل من يمر به، ويحتقر ويزدرى به، ولا يعود أحد يخشى غضبه أو وحشيته، بسبب الملك الذي ظفر به كذلك الموت أيضًا إذ قهره المخلص وشهّر به على الصليب وأوثق يديه ورجليه، فإن كل الذين هم في المسيح يدوسونه إذ يمرون به، ويهزأون به شاهدين للمسيح، ويسخرون منه مرددين ما قيل عنه في القديم » أين غلبتك يا موت، أين شوكتك يا هاوية﴾[1]*.

[1]*﴿أين شوكتك يا موت، أين غلبتك يا هاوية﴾ (١كورنثوس ١٥ : ٥٥)، انظر أيضًا (هوشع ١٣ : ١٤).

الفصل الثامن والعشرون

أما هذه الحقيقة الشاذة فيجب امتحانها بالاختبار وعلى الذين يشكون فيها أن يصيروا مسيحيين.

١. هل هذا برهان تافه على ضعف الموت؟ أم هذا إيضاح ضئيل للنصرة التي نالها المخلص عليه. إن كان الشبان والشابات الذين في المسيح يحتقرون هذه الحياة ويرحبون بالموت؟

٢. فالإنسان بطبيعته يرهب الموت، ويفزع من انحلال الجسد. ولكن المدهش جدًا أن من يتقلد الإيمان بالصليب يحتقر حتى ما هو مفزع بالطبيعة، ولا يرهب الموت إكرامًا للمسيح.

٣. النار بطبيعتها محرقة. فكما أنه إن قال إنسان هنالك مادة لا تخشى قوة النار المحرقة، بل بالعكس تبرهن أنها ضعيفة – كما يقول الهنود عن الأسبستوس – ولم يصدق أي شخص هذه الرواية، فما عليه أن أراد أن يختبرها إلا أن يأتي بهذه المادة ويضعها في النار، ليتأكد من الضعف الذي نسب إلى النار[1]*.

٤. أو إن أراد إنسان أن يرى الظالم قد أوثِق، فما عليه إلا أن يذهب إلى مملكة ومنطقة قاهره ومذلله، فيرى ذلك الظالم المفزع للآخرين قد تذلل وصار ضعيفًا، هكذا أيضًا إن وُجد هنالك شخص مرتاب، حتى بعد تلك البراهين الكثيرة، وبعد استشهاد تلك الجماهير الغفيرة في المسيح، وبعد الاستهزاء بالموت الذي يبدو كل يوم ممن تلألأوا في المسيح، إن كان عقله لا يزال يشك في أن الموت قد أبطل

---

[1] *أو «ليتأكد من ضعف النار أمام مادة الأسبستوس» كبعض الترجمات الآخرى.

وأبيد، فحسنًا يفعل إن كان يدهـش من أمر عظيم كهذا، ولكن يجب ألا يصر على عناده في شكوكه، ولا يُقسي قلبه ويغلق بصيرته أمام أمر واضح كهذا.

٥. بل كما أن الشخص الذي لديه مادة الأسبستوس هو الذي يدرك أن النار لا تقوى عليها، وكما أن من يريد أن يرى الظالم العاتي قد تذلل وأوثق يذهب إلى مملكة مذلله، كذلك ليس على من يشك في حقيقة غلبة الموت، إلا أن يقبل إيمان المسيح، وينتقل إلى تعاليمه، فيتحقق من ضعف الموت ومن غلبته. فكثيرون ممن كانوا غارقين في شكوكهم مستهزئين آمنوا فيما بعد، فاحتقروا الموت لدرجة أنهم استشهدوا من أجل المسيح.

الفصل التاسع والعشرون

وهنا نرى نتائج دعلة كافية لهذه النتائج دهي الصليب، كما أن إشراق الشمس هو علة النهار.

١. والآن إن كان الموت يُداس بعلامة الصليب و بالإيمان بالمسيح، فإنه يتبيّن أمام محكمة الحق أنه ليس أحد آخر سوى المسيح نفسه، قد أحرز الانتصار والغلبة على الموت، وجعله يفقد كل قوته.

٢. وإن كان الموت -بعد أن كان سابقًا قوياً ومفزعًا- يُحتقر الآن بعد مجيء المخلص وموت جسده وقيامته، فإنه يتبين أنه قد أبيد وأن المسيح نفسه الذي صعد على الصليب قد قهره.

٣. لأنه كما أن الشمس عندما تشرق بعد انتهاء الليل تستنير بها كل أقطار الأرض، فمما لا شك فيه أن الشمس هي التي أرسلت نورها إلى كل مكان، وهي التي بددت الظلام وأضاءت كل شيء، هكذا أيضًا إن كان الموت قد اُحتقر وديس تحت الأقدام منذ ظهور المخلص في الجسد بخلاصه، وموته على الصليب، فيجب أن يكون واضحًا تمام الوضوح، أن نفس المخلص الذي ظهر في الجسد هو الذي أباد الموت، وهو الذي يظهر علامات الانتصار عليه كل يوم في تلاميذه.

٤. لأنه عندما يرى المرء أن البشر الضعفاء بطبيعتهم يصارعون الموت، ويتهافتون عليه دون أن يخشوا عوامله المفسدة، أو أن يجزعوا من التعذيب، بل بالعكس يصارعون الموت، مفضلينه على الحياة على الأرض، أو عندما يشاهد المرء بعينيه أن الرجال

والنساء والأحداث[1]* يقفزون إلى الموت من أجل ديانة المسيح، فمن هو ذلك الغبي المتشكك، أو عديم العقل، الذي لا يرى ولا يدرك أن المسيح، الذي يشهد له البشر، هو الذي يعضدهم بنفسه، ويهب لكل واحد النصرة على الموت، ملاشياً كل قواته في كل من يتمسك بإيمانه، ويحمل علامة الصليب.

٥. ومن ذا الذي يرى الحية مدوسة بالأقدام[2]*، سيما وهو يعرف بطشها السابق، ويشك في أنها قد ماتت وتلاشت كل قوتها، إلا إذا كان قد فقد توازنه العقلي، وعَدِم حتى حواسه الجسدية. ومن ذا الذي يرى أسدًا يعبث به الأطفال، ولا يدرك أنه إما أن يكون قد مات أو فقد كل قوته؟

٦. وكما أنه من الممكن أن نرى بأعيننا صدق كل هذا، هكذا أيضًا إن كان الموت يعبث به المؤمنون بالمسيح ويحتقرونه، وجب أن لا يشك أحد فيما بعد أو يبقى غير مصدق، بأن المسيح قد أبطل الموت وأباده وأوقف فساده.

---

[1] *قرئت ﴿والأطفال﴾

[2] * منذ القديم كان الوعد أن نسل المرأة يسحق رأس الحية (تكوين ٣: ١٥)، وقد تحقق ذلك في المسيح الذي وُلد من امرأة فقط.

الفصل الثلاثون

البرهان على حقيقة القيامة ببعض الوقائع وهي:

١ـ غلبة الموت كما تبين مما سبق.

٢ـ عجائب النعمة هي من عمل شخص حي هو الله.

٣ـ إن كانت آلهتهم حقيقية، وحية كما يدّعون فإن من ينتزع قواتها هو حيّ.

١. إذًا فإن ما قررناه إلى الآن ليس برهانًا هينًا على أن الموت قد أُبطِل، وأن الرب هو علامة الانتصار عليه. أما عن قيامة الجسد إلى عدم الموت، التي أتمها عندئذ المسيح مخلص الجميع، والحياة الحقيقية للجميع، فإن إثباتها بالوقائع أكثر وضوحًا من إثباتها بالحجج والبراهين، لمن سلمت بصيرتهم العقلية.

٢. لأنه إن كان الموت قد أُبطِل، كما بيَّنا في أدلتنا السابقة، وإن كان الجميع قد وطئوه بأقدامهم بفضل نعمة المسيح، فبالأولى جدًا يكون هو نفسه قد وطئه بجسده أولاً وأبطله. وإن كان المسيح قد قتل الموت[1]*، فماذا كان ممكنًا أن يحدث إلا أن يقيم جسده. ويظهره كعلامة للنصرة على الموت؟ كيف كان ممكنًا إظهار إبادة الموت ما لم يكن جسد الرب قد قام؟ وإن كانت هذه الأدلة على حقيقة القيامة تبدو لأي امرئ غير كافية لإقناعه، فليتحقق مما قلناه أي مما يحدث أمام عينيه.

---

[1]* «قهر الموت» كبعض الترجمات.

٣. لأنه عند القبر. وإن كان الإنسان بموته تبطل قواه وينتهي نفوذه وسلطانه عند القبر. وإن كانت الأعمال والنفوذ على البشر لا تخص إلا الأحياء، فلينظر كل من أراد، وليكن شاهدًا للحق مما يبدو أمام عينيه.

٤. لأنه إن كان المخلص يعمل الآن أعمالاً عظيمة كهذه بين البشر، ولا يزال كل يوم بكيفية غير منظورة، يقنع الجماهير العديدة من كل ناحية، سواء من سكان اليونان أو البلاد الغربية، ليُقْبِلوا إلى إيمانهِ، ويطيع الجميع تعاليمه، فهل لا يزال يوجد منْ يتطرق الشك إلى عقله أن القيامة قد أتمها المخلص، أو أن المسيح حي، أو بالحري أنه هو نفسه الحياة؟

٥. وهل يتاح لشخص ميت أن ينخس ضمائر البشر، فيثوروا ضد نواميسهم الموروثة، ويخضعوا لتعاليم المسيح؟ وإن كان المسيح لم يعد بعد عاملاً متحركًا (كما يتفق مع خاصية الميت)، فهل يستطيع أن يصد الأحياء عن حركاتهم وأعمالهم، وحتى يكف الزاني عن الزنى، والقاتل عن القتل، والظالم عن الظلم والاغتصاب وحتى يصبح الدنس فيما بعد متدينًا[1]*؟ ولو أنه لم يقُم. بل لا يزال ميتًا فكيف يستطيع أن يطرد ويطارد ويحطم تلك الآلهة الكاذبة التي يقول الملحدون إنها حية، والأرواح الشريرة التي يعبدونها؟

٦. لأنه حيث ذُكر اسم المسيح، ونُودي بإيمانه، انقشعت كل عبادة وثنية. وفضحت كل أضاليل الأرواح الشريرة. ولم يستطع أي روح أن يحتمل حتى الاسم، بل يهرب ويختفي بمجرد سماع الاسم وهذا لا يمكن أن يكون عمل شخص ميت، بل هو عمل شخص حي، بل هو عمل الله.

---

[1]*﴿ويتخلى المنافق عن نفاقه﴾ كبعض الترجمات.

٧. ونحن بنوع أخص نقرر أنه من الحماقة القول بأن الأرواح التي بددها، والأصنام التي أبطلها حية، وأن من طاردها، وبسلطانه منعها حتى من الظهور، ومن شهد له الجميع بأنه ابن الله – ميت.

الفصل الحادي والثلاثون

إن كانت القوة علامة الحياة فماذا نتعلم من ضعف الأوثان وعجزها، سواء عن فعل الخير أو فعل الشر، وماذا نتعلم من قوة المسيح الفائقة ومن قوة علامة الصليب، إذن فقد اتضح من هذا البرهان أن الموت والأرواح الشريرة فقدت سلطانها. اتفاق البرهان السابق المستقى من شخصية المسيح.

١. إن الذين ينكرون القيامة يقدمون حجة قوية ضد أنفسهم. إن كانت الأرواح والآلهة التي يعبدونها، بدلاً من أن تطرد المسيح الذي يدّعون بأنه ميت، قد برهن المسيح على العكس بأنها كلها ميتة.

٢. وإن كان حقًا أن الميت لا يستطع أن يبذل أي مجهود، في حين أن المخلص يتمم كل يوم أعمالاً متعددة، جاذبًا البشر إلى الديانة الطاهرة، ومقنعًا إياهم بضرورة التحلي بالفضيلة، ومعلمًا إياهم حقيقة الخلود، وباعثًا فيهم الرغبة في الأمور السماوية. ومعلنًا لهم معرفة الآب، ونافثًا فيهم القوة لملاقاة الموت، ومعلنًا ذاته لكل واحد وملاشياً فجور العبادة الوثنية، بينما تعجز الآلهة والأرواح التي يعبدها غير المؤمنين أن تفعل شيئًا من تلك الأمور، بل بالعكس تظهر بأنها ميتة في حضرة المسيح، وتبدو عظمتها ضعفًا وباطل الأباطيل، بينما بعلامة الصليب يبطل كل السحر، وتتلاشى كل قوات العرافة، وتهجر كل الأوثان، وتبطل كل الملذات غير المقدسة وتتحول أنظار الجميع من الأرض إلى السماء- فمن ذا الذي يستحق أن يُدعى ميتًا؟ هل المسيح الذي يتمم أعمالاً كثيرة كهذه ونعلم أن الميت لا يعمل؟ أم هو

ذاك الذي لا يبذل أي مجهود مطلقًا، بل هو ملقى عديم الحياة، الأمر الذي ينطبق على الأوثان والأرواح الشريرة لأنها ميتة؟

٣. لأن ابن الله حـيٌ وفعّـال (عـبرانيين ٤ : ١٢) يعمـل كـل يـوم، ويتمـم الخـلاص للجميع. أما الموت ففي كل يوم يبرهن أنه فقد كـل قوتـه، والأصنـام والأرواح الشريرة تبرهن علـى موتها، وليس المسيح. لهذا لا يستطيع أي امرئ فيما بعد أن يشك في قيامة جسده.

٤. أما من لا يصدق قيامة جسد الرب، فيظهر بأنه يجهل قـوة كلمة الله وحكمة الله. لأنه إن كان قد اِتخّذ لنفسه جسدًا، وهيأه بحكمته الفائقة ليكون لائقًا به كما بيّنا فيما سبق، فما الذي كان يصنعه الرب بذلك الجسد؟ أو ماذا كان يمكن أن تكون نهاية الجسد إذ حل "الكلمة" فيه؟ لأنه لم يكن ممكنًا إلا أن يموت، إذ هو جسد قابل للموت، ويُقَدم إلى الموت عن الجميع. ولأجل هذه الغاية صوّره المخلص لنفسه، على أنه كان مستحيلاً أن يبقى مائتًا إذ صار هيكلاً للحياة لهذا فإذا مات كجسدٍ مَائِت، عاد إلى الحياة بفضل "الحياة" التي فيه، وما الأعمال إلا علامة لقيامته.

الفصل الثاني والثلاثون

ومن ذا الذي كان يجب أن يراه وهو يقوم لكي يؤمن، نعم إن الله غير منظور أبدًا ومعروف بأعماله فقط. وهنا تنطق الأعمال لتقدم البرهان. إن كنت لا تؤمن فانظر إلى من يؤمنون وأبصر لاهوت المسيح. إن الأرواح الشريرة ترى هذا ولو طمست بصيرة البشر. ملخص للحجج السابقة إلى الآن

١. ولكن إن كان لا يصدق أنه قد قام لأنه لا يرى، لجاز لمن لا يصدقون أن ينكروا مجرى الطبيعة. لأن من خواص الله الغريبة أنه لا يُرى، ومع ذلك فهو يعرف من أعماله كما بيّنا فيما سبق.

٢. ولو لم توجد الأعمال لجاز لهم أن ينكروا ما هو غير ظاهر. أما إن كانت الأعمال تصرخ عالياً، وتوضحه[1]* جلياً، فلماذا يحبون أن ينكروا الحياة الناجمة بجلاء عن القيامة؟ لأنه حتى ولو طمست بصيرة البشر فإنهم بحواسهم الظاهرة يستطيعون أن يدركوا قوة المسيح ولاهوته، اللذين لا يمكن أن يتطرق الشك إليهما.

٣. لأنه إن كان الأعمى لا يرى الشمس، فإنه عندما يحس الحرارة المنبعثة منها، يدرك أن هناك شمسًا فوق الأرض، هكذا أيضًا إن كان مقاومونا لا يؤمنون للآن لأنهم لا يزالون عميانًا عن الحق، فإنهم على الأقل، إذ يدركون قوة المسيح في الآخرين الذين يؤمنون، يجب ألا ينكروا لاهوته والقيامة التي أتمها.

٤. وواضح أنه لو كان المسيح ميتًا لما استطاع أن يطرد الأرواح النجسة ويحطم الأوثان. إذ الأرواح لا تخضع لإنسان ميت، أما إن كانت تُطرد جهارًا بمجرد ذكر

[1] *توضح ما هو غير ظاهر.

اسمه، فإنه يتضح من ذلك أنـه ليس ميتًـا، سيما وأن الأرواح -وهـي تـرى مـا لا يـراه البشر- تستطيع أن تخبر إن كان المسيح ميتًا وترفض الخضوع له على الإطلاق.

٥. أما والأرواح ترى -ما لا يؤمن به الملحدون- أنه هو الله، فإنها تطير وتجثـو تحـت قدميه، وتردد ما سبق أن نطقت به وهو في الجسد: "نحـن نعرفـك مـن أنـت قـدوس الله" (لوقا ٤: ٣٤)، ﴿... مـا لـي ولـك يـا يسـوع ابـن الله العلـي أسـتحلفك بـالله أن لا تعذبني﴾ (مرقس ٥ : ٧).

٦. فإن كانت الشيـاطين تعترف به، وأعمـاله تشهد له يومًا فيومًا، فقد اتضح جليـاً -ويجب أن لا يتصلف أحد في مواجهة الحـق- إن المخلـص أقـام جسـده، وأنـه هـو ابن الله الحقيقي المولود منه كما من أبيه، وأنه هو كلمته وحكمته وقوتـه، الـذي في الأزمنة الأخيرة اتخذ جسدًا لخلاص الجميع، وعلَّم العالم عن الآب، وأبطـل المـوت، ووهب الكل عدم الفساد بموعد القيامة إذ أقام جسده كباكورة لذلك، وأظهره بعلامة الصليب كعلامة للظفر على الموت وفساده.

الفصل الثالث والثلاثون

عدم إيمان اليهود واستهزاء اليونانيين. أما الناحية الأولى فتدحضها كتبهم نبوات عن مجيئه كإله متأنس.

١. إن كانت هذه الأمور هكذا، وإن كانت قد تبرهنت بوضوح قيامة جسده، والغلبة التي تمت على الموت بواسطة المخلص، فتعال الآن لكي نوبخ كلاً من عدم إيمان اليهود واستهزاء الأمم.

٢. ولعل أهم ما يبعث الشك في اليهود، والاستهزاء في الأمم، أنهم يرون عدم لياقة تأنس كلمة الله. على أننا لن نتأخر عن تقديم الحجج التي تدحض آراء كل من الفريقين، سيما وأن ما لدينا من البراهين ضدهما واضح كوضوح النهار.

٣. فاليهود يوبخون على عدم إيمانهم من نفس كتبهم التي يقرأونها. فهذه الآية أو تلك أو بالإجمال كل الكتاب الموحى به، يطلق الصوت عالياً، منادياً بتلك الحقائق، كما تبين كلماته الصريحة مرارًا كثيرة. لأن الأنبياء أذاعوا مقدمًا عجيبة العذراء وولادتها قائلين: ﴿هو ذا العذراء تحبل وتلد ابنًا ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا﴾ (متى ١ : ٢٣ ، إشعياء ٧ : ١٤).

٤. أما "موسى"، العظيم حقًا، والذي يعتقدون فيه أنه ينطق بالصدق، فإنه إذ اعتبر ما قيل عن تأنس المخلص هامًا وجوهرياً، وإذ وثق من حقيقته، دوّنه في هذه

الكلمات: ﴿ يقوم كوكب من يعقوب وإنسان من إسرائيل فيحطم رؤساء موآب﴾[1]* وأيضًا ﴿ما أحلى مساكنك يا يعقوب خيامك يا إسرائيل، كبساتين ظليلة، كجنات على نهر، كخيام ثبتها الرب، كأرزات على مياه، يخرج من نسله إنسان يصير ربًا على شعوب كثيرة﴾[2]* ويقول أيضًا إشعياء : ﴿قبل أن يعرف الصبي أن يدعو يا أبي ويا أمي تُحمل ثروة دمشق وغنيمة السامرة قدام ملك أشور﴾(إشعياء ٨ :٤).

٥. إذن فقد اتضح مما ورد في هذه الآيات، أنه سبق التنبؤ بظهور إنسان. أما إن ذاك الذي كان سوف يأتي هو رب الكل فقد تنبأ عنه أيضًا فيما يلي "هو ذا الرب جالس على سحابة خفيفة وقادم إلى مصر فترتجف أوثان مصر المنحوتة"[3]* لأنه من هناك دعاه الرب أيضًا للرجوع قائلاً: ﴿... من مصر دعوت ابني﴾ (هوشع ١١ : ١).

---

[1] يلاحظ أن معظم أو كل الاقتباسات التي يستشهد بها أثناسيوس مأخوذة عن الترجمة السبعينية، وأما نص هذه الآية حسب ترجمة بيروت فهو ﴿يبرز كوكب من يعقوب ويقوم قضيب من إسرائيل فيحطم طرفي موآب﴾ (عدد ٢٤ :١٧).

[2] ﴿ما أحسن خيامك يا يعقوب مساكنك يا إسرائيل، كأودية ممتدة كجنات على نهر، كشجرات عود غرسها الرب، كأرزات على مياه﴾ (عدد ٢٤ : ٥ و٦)، أما الجزء الأخير ﴿يخرج من نسله ... الخ﴾ فليس له وجود في النسخ التي بين أيدينا لكنه موجود بالترجمة السبعينية.

[3] ﴿هو ذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر فترتجف ... أوثان مصر﴾ إشعياء ١٩ : ١.

الفصل الرابع والثلاثون

نبوات عن آلامه وموته في كل ظروفه

١. وأما موته فلم تتغافل عنه الكتب الإلهية، لكنها بالعكس أشارت إليه إشارات متعددة في غاية الوضوح. فإنها خوفًا من أن يخطئ أحد بسبب عدم توافر التعليم عن الحوادث الفعلية، خشيت أن لا تذكر حتى سبب موته، فهو لم يحتمل الموت من أجل نفسه، بل من أجل عدم موت الجميع وخلاصهم، وبسبب مؤامرة اليهود ضده، والإهانات التي وجهت إليه على أيديهم.

٢. لهذا قالت : "رجل ضربات يعرف كيف يتحمل الضعف لأن وجهه قد أُقصيَ بعيدًا، احتقر ولم يعتد به، خطايانا حملها، وتألم من أجلنا، ونحن خسبناه مصابًا ومضروبًا ومذلولاً جُرح لأجل خطايانا، سُحق لأجل آثامنا، تأديب سلامنا عليه وبحبره يشفينا" أفلا ندهش من رحمة "الكلمة" العجيبة إذ أُهين هو من أجلنا لكي نمجد نحن. ثم يقول الكتاب "كلنا كغنم ضللنا، حادَ الإنسان عن طريقه، والرب أسلمه لأجل خطايانا، ولم يفتح فاه لأنه أسيء إليه، سيق كشاة للذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه، وفي اتضاعه (أو باتضاعه) رفعت عنه (أو تعالت وارتفعت) دينونته (أو حكمه) ".

٣. ولئلا يستنتج أحد من آلامه أنه إنسان عادي، بادر الكتاب المقدس وأشار إلى أوهام البشر، معلنًا قوته الفائقة، ومبينًا الفرق بين طبيعته وطبيعتنا قائلاً: ﴿ومن يخبر بجيله، لأن حياته انتزعت من الأرض، من شر الشعب سيق إلى الموت، سأعطى الأشرار عوض دفنه، والأغنياء عوض موته، لأنه لم يعمل شرًا ولا وجد في فمه غش، وسيطهره الرب من جراحاته﴾. *قارن بما هو وارد في (إشعياء ٥٣ : ٣ – ١٠)*.

الفصل الخامس والثلاثون

نبوات عن الصليب. وكيف تمت هذه النبوات في المسيح وحده.

١. ولعلك بعد أن سمعت النبوات المتعلقة بموته، تطلب أن تعرف ما كتب عن الصليب، فالكتاب لم يغفل عن هذا أيضًا، ذكره القديسون بكل إيضاح.

٢. فأولاً تنبأ موسى عنه بصوتٍ عالٍ إذ يقول: "وترون حياتكم معلقة أمام عيونكم ولا تؤمنون"[1]*.

٣. وبعد ذلك شهد عن هذا الأنبياء الذين بعده قائلين: "وأنا كحمل برئ يساق إلى الذبح ولم أعلم أنهم تآمروا عليّ قائلين: تعالوا نلقى ... ونقطعه من أرض الأحياء"[2]*

٤. وأيضًا ﴿... ثقبوا يديّ ورجليَ، أُحصِي كل عظامي ... يَقْسِمُونَ ثيابي بينهم وعلى لباسي اقترعوا﴾ (مزمور ٢٢ : ١٦ – ١٨).

٥. فالموت الذي يرفع المرء إلى فوق، والذي يتم على شجرة، لا يمكن إلا أن يكون موت الصليب. وأيضًا لا يمكن أن تثقب اليدان والرجلان في أي موت إلا على الصليب.

٦. ونظرًا لأنه منذ حلول المخلص بين البشر، بدأت الأمم من كل جهة تعرف الله، فإنهم لم يتركوا هذه الناحية أيضًا دون الإشارة إليها، بل ذكروها في الكتب

[1] *﴿وتكون حياتك معلقة قدامك ... ولا تأمن على حياتك﴾ (تثنية ٢٨ : ٦٦).

[2] *وأنا كخروف داجن يساق إلى الذبح ولم أعلم أنهم فكروا عليّ أفكارًا قائلين : لنهلك الشجرة بثمرها ونقطعه من أرض الأحياء فلا يذكر بعد اسمه (إرميا ١١ : ١٩).

المقدسة، لأنه "سيكون أصل يسى الذي يقوم ليحكم الأمم، عليه يكون رجاء الأمم"[1]* وهذه الأقوال كافية لإثبات ما حدث.

٧. على أن كل الكتاب المقدس مشحون بالحجج التي تدحض عدم إيمان اليهود. لأنه مَن مِن الأبرار والأنبياء القديسين والآباء البطاركة الأولين، المدوّنة أسماؤهم في الكتب الإلهية، ولد جسدياً من عذراء فقط؟ أو أية امرأة كانت كافية لحمل إنسان بشرى بدون رجل؟ ألم يولد هابيل من آدم، وأخنوخ من يارد، ونوح من لامك، وإبراهيم من تارح، واسحق من إبراهيم، ويعقوب من اسحق؟ ألم يولد يهوذا من يعقوب، وموسى وهرون من عمرام؟ ألم يولد صموئيل من ألقانة؟ ألم يكن داود من يسى؟ ألم يكن سليمان من داود؟ ألم يكن حزقيا من آحاز؟ أما كان يوشيا من عاموس[2]*، أما كان إشعياء من آموص؟ أما كان إرميا من حلقيا؟ أما كان حزقيال من بوزى؟ ألم يكن لكل واحد أب كأصل لوجوده؟ إذن فمن ذا الذي وُلِد من عذراء فقط؟ لأن النبي شدد التأكيد جدًا على هذه العلاقة.

٨. ومن ذا الذي عند ميلاده سبق أن جرى كوكب في السماء ليعلن للعالم ذاك الذي وُلِد؟ فموسى لما وُلِد أخفاه أبواه وداود لم يسمع عنه حتى جيرانه، حتى إن صموئيل العظيم نفسه لم يكن يعرفه بل سأل: ألم يبق بعد ابن ليسى؟ وإبراهيم أيضًا عرفه جيرانه رجلاً عظيمًا[3]* بعد ميلاده بزمن طويل. أما عن ميلاد المسيح، فإن الذي شهد له لم يكن إنسانًا، بل نجمًا في السماء التي نزل منها.

---

[1] *﴿ويكون في ذلك اليوم أن أصل يسى القائم راية للشعوب إياه تطلب الأمم ...﴾ (إشعياء ١١ : ١٠).

[2] *آمون (٢ملوك ٢١ : ٢٥).

[3] *أو "لم يعرفه جيرانه رجلاً عظيمًا إلا بعد أن صار كذلك".

الفصل السادس والثلاثون

نبوات عن عظمة المسيح والهرب إلى مصر.... إلخ.

١. وأي ملك من ملوك الأرض قاطبة، حكم وتم له الانتصار على أعدائه، قبل أن يقدر أن يدعو أبًا أو أمًا[1]* ألم يصل داود إلى العرش في سن الثلاثين، وسليمان لما كبر ووصل إلى سن الشباب؟ ألم يرأس يوآش المملكة في سن السابعة ويوشيا -وهو ملك جاء بعده- قبل الحكم وهو في سن الثامنة؟ ومع ذلك فإن هذين كانا – في تلك السن- يقدران أن يدعوا أبًا وأمًا.

٢. إذن من ذا الذي كان يحكم ويهلك أعداءه، حتى قبل ولادته؟ ليخبرنا اليهود الذين فحصوا الأمر: أي ملك كهذا – وجد في إسرائيل أو يهوذا – وضعت عليه كل الأمم رجاءها ووجدت فيه سلامًا، بدلاً من أن يعاديها من كل ناحية؟

٣. لأنه طالما كانت أورشليم قائمة بين الأمم كانت الحروب قائمة بينها بلا انقطاع. وكانت كلها تحارب إسرائيل. فالأشوريون ضايقوهم، والمصريون اضطهدوهم، والبابليون انقضوا عليهم. والأغرب من ذلك، أنه حتى الآراميون جيرانهم كانوا يحاربونهم. أما حارب داود أهل موآب، وضرب الآراميين؟ ويوشيا كان يحترس من جيرانه، وحزقيا خارت عزائمه أمام تعيير سنحاريم[2]*. بل إن عماليق حارب موسى، والأموريين قاوموه، وسكان أريحا قاوموا يشوع بن نون. وبالإجماع فإن معاهدات

---

[1]*﴿لأنه قبل إن يعرف الصبي إن يدعو يا أبي ويا أمي تحمل ثروة دمشق وغنيمة السامرة قدام ملك أشور﴾ (إشعياء ٨ : ٤) أما في الترجمة السبعينية فقد وردت هذه الآية هكذا: ﴿لأنه قبل إن يعرف الصبي إن يدعو يا أمي يحمل إنسان قوة دمشق وغنائم السامرة قدام الآشوريين﴾

[2]*سنحاريب

الصلح والسلام كانت معدومة بين الأمم وإسرائيل. إذن وجب أن نتأمل في من كان يجب أن تضع الأمم رجاءها عليه، لأنه يجب أن يكون هنالكِ شخص كهذا، إذ يستحيل أن يكون النبي قد نطق كذبًا.

٤. وأي الأنبياء القديسين أو الآباء البطاركة الأولين، مات على الصليب من أجل خلاص الجميع؟ أو من ذا الذي جرح وسحق لأجل شفاء الجميع؟ أو مَن مِن الأبرار أو الملوك، نزل إلى مصر وسقطت أوثان مصر بمجرد مجيئه إليها؟[1]* فإبراهيم ذهب إليها، ولكن العبادة الوثنية ظلت منتشرة بها كما كانت، وموسى ولد فيها ولم تنقص عبادة الشعب المضلة.

---

[1]*أنظر رسالته الحادية والستين الموجهة إلى مكسيموس حوالي سنة ٣٧١ م.

الفصل السابع والثلاثون

مزمور ٢٢ : ١٦ الخ. عظمة ميلاده وموته. اضطراب العرّافين والشياطين في مصر.

١. أوَ مَن مِمَن دونت سيرتهم في الكتاب المقدس ثقبت يداه ورجلاه، أو علق مطلقًا على شجرة، ومات على صليب لأجل خلاص الجميع؟ فإبراهيم ختم حياته على سرير، واسحق ويعقوب ماتا أيضًا رافعين[1]* أرجلهما على سرير، وموسى وهرون ماتا على الجبل، وداود في بيته دون أن يعرض لمؤامرة الشعب، ولكن لم يمس بأذى، وإشعياء نُشِر، ولكن لم يعلق على شجرة. وإرميا أهين، إلا أنه لم يحكم بموته، وحزقيال تألم لا من أجل الشعب، إنما ليبيّن ما كان عتيدًا أن يحل بالشعب.

٢. وأيضًا إن كان هؤلاء احتملوا الآلام، فإنهم كانوا جميعهم يشبهون بعضهم بعضًا في طبيعتهم المشتركة، أما ذاك الذي أعلن عنه الكتاب أن يتألم عن الجميع، فإنه لم يدع مجرد إنسان، بل "حياة" الجميع، ولو كان مشابهًا للبشر في البشرية. لأنه يقول: ﴿وترون حياتكم معلقة أمام عيونكم﴾[2]*، وأيضًا ﴿وجيله من يخبر به﴾[3]* لأن المرء يستطيع أن يتحقق من سلسلة أنساب جميع القديسين، ويخبر بها منذ البدء، ويعرف من أي جيل ولد كل منهم. أما جيل ذاك الذي هو "الحياة"، فإن الكتب المقدسة تشير إليه بأنه لا يخبر به

---

[1]*﴿ولما فرغ يعقوب من توصية بنيه، ضم رجليه إلى السرير وأسلم الروح وانضم إلى قومه﴾ (تكوين ٤٩ : ٣٣)، ووردت هذه الآية بالترجمة السبعينية كالآتي ﴿وفرغ يعقوب من توصية بنيه. وإذ رفع رجليه إلى السرير مات﴾.

[2]*أنظر فصل ٣٥ : ٢ من هذا الكتاب.

[3]*فصل ٣٤ : ٣ من هذا الكتاب.

٣. فمن هو إذن هذا الذي تتحدث عنه هكذا الكتب الإلهية؟ أو من هو ذلك العظيم بهذا المقدار، حتى يتنبأ عنه الأنبياء بهذه النبوات العظيمة؟ لن يوجد أحد آخر في الكتب إلا مخلص الجميع، كلمة الله ربنا يسوع المسيح لأنه هو الذي ولد من عذراء، وظهر كإنسان على الأرض، وهو الذي لا يخبر بجيله حسب الجسد، لأنه لن يوجد من يستطيع أن يعيّن له أبًا حسب الجسد إذ أن جسده لم يكن من رجل بل من عذراء فقط.

٤. لذلك لن يستطيع أحد أن يخبر عن تناسل المخلص بالجسد من رجل، بنفس الطريقة التي تذكر بها سلسلة أنساب داود وموسى، وجميع الآباء البطاركة. لأنه هو الذي جعل النجم أيضًا يشير إلى نوع ميلاد جسده. لأنه كان يليق "بالكلمة" النازل من السماء، أن تكون الإشارة إليه أيضًا من السماء، وكان يليق بملك الخليقة عند ظهوره للعالم، أن تعترف به كل الخليقة جهارًا.

٥. ولماذا؟ لأنه ولد في اليهودية، وأتى رجال من بلاد الفرس ليسجدوا له، وهو الذي، حتى قبل ظهوره في الجسد نال الغلبة على الشياطين خصومه، والظفر على العبادة الوثنية. فالناس من كل لون، وفي كل قطر، هجروا تقاليدهم الموروثة ورجاسات الأصنام، وتراهم الآن يركزون رجاءهم في المسيح ويلتفون حول رايته الأمر الذي تستطيع أن تراه بعينيك.

٦. فضلال المصريين[1]* لم يكف في أي وقت من الأوقات، إلا عندما جاء إليها رب الكل في الجسد، كأنه راكب على سحابة، وبدد ضلالات الأوثان، ونقل الجميع إلى نفسه، ثم إلى الآب عن طريق شخصه.

---

[1] *يتكلم أثناسيوس هنا عن العبادات الوثنية السابقة للمسيحية.

٧. هذا هو الذي صُلب أمام الشمس وكل الخليقة كشهود، وأمام من أسلموه إلى الموت. وبموته صار الخلاص للجميع، والفداء لكل الخليقة. هو "حياة" الجميع، الذي سلم جسده إلى الموت نيابة عن الجميع، ولأجل الجميع، ولو لم يؤمن اليهود بذلك.

الفصل الثامن والثلاثون

نبوات أخرى واضحة عن مجيء الله في الجسد. معجزاته المنقطعة النظير

١. وإن ظنوا أن هذه الأدلة غير كافية، فليقتنعوا على أي حال ببراهين أخرى مستمدة من الأقوال الإلهية التي بين أيديهم لأنه عمن يتحدث الأنبياء إذ يقولون "استُعلنت للذين لم يطلبوني، وُجِدت من الذين لم يسألوا عني، قلت هاأنذا للأمة التي لم تُسَمَّ باسمي، بسطت يديَّ إلى شعب معاند ومقاوم"[1]*.

٢. ويحق للمرء أن يسأل اليهود: من هو إذن ذاك الذي قد استُعلن؟ إن كان هو النبي، فليذكروا لنا متى اختفي حتى يظهر ثانية. وأي نبي هذا الذي لم يستعلن من الخفاء فقط، بل بسط يديه أيضًا على الصليب؟ يقينًا أنه ليس بين الأبرار سوى كلمة الله فقط، الذي وهو روح لا جسد له ظهر في الجسد من أجلنا وتألم عن الجميع.

٣. وإن لم يكفهم هذا أيضًا، فلعلهم على الأقل يخرسون أمام هذا البرهان الآخر الواضح كل الوضوح. لأن الكتاب يقول: "تشددي أيتها الأيادي المسترخية والركب المرتعشة، تعزوا يا خائفي القلوب، تشددوا لا تخافوا، هوذا إلهنا يجازي منتقمًا، هو يأتي ويخلصنا. حينئذ تتفتح عيون العمى، وآذان الصم تسمع حينئذ يقفز الأعرج كالأيل ولسان الأخرس يصير فصيحًا"[2]*

---

[1] ﴿أصغيت إلى الذين لم يسألوا، وُجِدت من الذين لم يطلبوني، قلت هاأنذا لأمة لم تسم باسمي، بسطت يديَّ إلى شعب متمرد﴾ (إشعياء ٦٥ : ١ و٢)، أنظر أيضًا (رومية ١٠ : ٢١).

[2] ﴿شددوا الأيادي المسترخية، والركب المرتعشة ثبتوها. قولوا لخائفي القلوب تشددوا لا تخافوا. هوذا إلهكم، الانتقام يأتي، جِزاءُ الله. هو يأتي ويخلصكم. حينئذ تتفقح عيون العمى وآذان الصم تتفتح. حينئذ يقفز الأعرج كالأيل ويترنم لسان الأخرس ...﴾ (إشعياء ٣٥ : ٣ – ٦) (تتفقح أي تنفتح).

٤. والآن ماذا يستطيعون أن يقولوا في هذا، وكيف يجرؤون على مواجهة هذا على أي حال، فالنبوة لا توضح فقط أن الله يحل هنا. ولكنها تعلن أيضًا علامات ووقت مجيئه فهي تقرن تفتيح أعين العميان وشفاء العرج ليمشوا، والصم ليسمعوا، ولسان الأخرس ليصير فصيحا، بمجيء الله الذي كان مزمعًا أن يتم. فليقولوا إذن متى تمت هذه العلامات في إسرائيل، أو في أي مكان من اليهودية حدث أمر كهذا.

٥. صحيح أن نعمان الأبرص تطهر، ولكن لم يحصل أن أصمًا سمع، أو أعرجًا مشى. وإيليا أقام ميتًا، وكذلك فعل إليشع ولكن لم نر إنسانًا أعمى منذ ولادته استعاد بصره. صحيح أن إقامة الميت أمر عظيم، ولكنه لا يمكن أن يشبه العجائب التي عملها المخلص. وإن كان الكتاب لم يغفل عن ذكر حادثة الأبرص، وحادثة ابن الأرملة، فإنه بلا شك لو كان حدث أن إنسانًا أعرجًا مشى، وأعمى استعاد بصره، لما أغفل ذكر ذلك أيضًا. وحيث أنه لم يذكر شيء من ذلك في الكتب، فواضح أن تلك الأمور لم تحصل مطلقًا من قبل.

٦. إذن فمتى حصلت هذه إلا عندما جاء كلمة الله نفسه في الجسد. حينئذٍ مشى العرج، وتكلم البكم فصيحًا، والصم سمعوا، والعمى منذ ولادتهم استعادوا بصرهم؟ لأن هذا هو نفس ما قاله اليهود الذين شهدوا تلك الأمور إذ لم يسمعوا أنها حدثت في أي وقت آخر: ﴿منذ الدهر لم يُسمع أن أحدًا فتح عيني مولود أعمى لو لم يكن هذا من الله لم يقدر أن يفعل شيئًا﴾ (يوحنا ٩ : ٣٢ و ٣٣).

الفصل التاسع والثلاثون

هل تطلبون دليلاً آخر؟ لقد تنبأ دانيال عن الوقت المحدد. تفنيد الاعتراضات المتعلقة بهذا الأمر

١. لكن ربما لعدم استطاعتهم الاستمرار في مقاومة الحقائق الواضحة يصرحون دون أن ينكروا المكتوب، بأنهم ينتظرون هذه الأمور، وأن "كلمة الله" لم يأت بعد، لأن هذا ما يرددونه دومًا دون أن يخجلوا من مواجهته بالحقائق الواضحة.

٢. وفي هذه الناحية بنوع خاص، يحق توبيخهم توبيخًا أشد لا بواسطتنا، بل من قِبل دانيال" المتزايد في الحكمة. الذي حدد كلاً من التاريخ الفعلي لمجيء المخلص، وحلوله الإلهي بيننا، إذ قال: ﴿سبعون أسبوعًا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة[1]* الإثم وليؤتى بالبر الأبدي ولختم الرؤيا والنبوة لمسح قدوس القدوسين، فاعلم وافهم أنه مِن خُرُوج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس ...﴾ (دانيال ٩ : ٢٤،٢٥).

٣. لعلهم في النبوات الأخرى يستطيعون أن يتلمسوا المعاذير لأنفسهم، أو يحيلوا المكتوب إلى المستقبل ولكن ماذا عساهم يقولون عن هذه النبوة، أو هل يستطيعون مواجهتها بأي حال من الأحوال؟ ففيها لا نجد إشارة إلى المسيح فحسب، ولكنها تعلن صراحة أن الذي سيمسح ليس مجرد إنسان بل "قدوس القدوسين" وأن الرؤيا والنبوة تبقى قائمة في أورشليم إلى مجيئه، ومن ثم تبطل النبوة والرؤيا من إسرائيل.

---

[1] *إبادة الإثم.

٤. لقد مُسح داود في القديم وكذا سليمان وحزقيا، ومع ذلك كانت أورشليم والموضع باقيين، وكان الأنبياء يتنبأون، جاد وأساف وناثان، ومن بعدهم إشعياء وهوشع وعاموس وغيرهم. ثم إن من كانوا يمسحون كانوا يدعون قديسين، ولكن أحدًا منهم لم يدع قط "قدوس القدوسين".

٥. أما إن كانوا يحتمون في السبي قائلين إن أورشليم لم تكن قائمة بسببه، فماذا يقولون عن الأنبياء أيضًا؟ لأنه في الواقع عندما نزل الشعب في بدء الأمر إلى بابل كان فيها دانيال و إرميا وكان حزقيال وحجي وزكريا يتنبئون.

الفصل الأربعون

إقامة البرهان:

١- من أبطال النبوة وخراب أورشليم

٢- من تجديد الأمم واتباعهم إله موسى وماذا يبقى بعد ليفعله المسيا ولم يتممه المسيح؟

١. إذن فاليهود يعيشون، والوقت الذي نتحدث عنه، والذي يحاولون أن يثبتوا أنه يشير إلى المستقبل قد حل فعلاً، لأنه متى بطلت النبوة والرؤيا من إسرائيل إلا عندما أتى المسيح قدوس القدوسين؟ لأنه من ضمن العلامات والبراهين القوية على مجيء كلمة الله أن أورشليم لا تكون قائمة فيما بعد، ولا يكون نبي قائمًا فيهم، ولا تعلن لهم رؤيا، وهذا أمر طبيعي جدًا.

٢. لأنه إن كان ذاك الذي أشير إليه قد جاء، فما هي الحاجة لأية إشارة تشير إليه بعد؟ إن كان الحق قد وافي، فما هي الحاجة بعد إلى الظل؟ لأن هذا هو السبب الذي لأجله تنبأوا، أي إلى أن يأتي البر الحقيقي، المزمع أن يكون فدية عن الجميع، وكان هذا هو السبب في بقاء أورشليم إلى ذاك الوقت، أي حتى يتدربوا هناك في الرموز استعدادًا للحقيقة.

٣. فعندما جاء "قدوس القدوسين" كان طبيعياً أن تُختم الرؤيا والنبوة، وتبطل مملكة أورشليم. لأن الملوك كان يجب أن يمسحوا بينهم إلى أن يمسح "قدوس

القدوسين"، ويعقوب تنبأ بأن مملكة اليهود تبقى حتى مجيئه قائلاً: "لا يزول حاكم من يهوذا ورئيس من بين أحقائه حتى يأتي المعد له وهو رجاء الشعوب"[1]*

٤. ومتى هتف المخلص نفسه أيضًا قائلاً: ﴿لأن جميع الأنبياء و الناموس إلى يوحنا تنبأوا﴾ (متى ١١ : ١٣،وأنظر أيضًا لوقا ١٦ : ١٦)، فلو كان لليهود الآن ملك أو رؤيا لجاز لهم أن ينكروا المسيح الذي أتى، أما إن لم يوجد ملك ولا رؤيا بل من ذلك الوقت إلى الآن ختمت كل نبوة، وأخذت المدينة والهيكل، فلماذا يجحدون ويتمردون لهذا الحد، إذ وهم ينظرون ما حصل ينكرون المسيح الذي تمم كل شيء؟ ولماذا وهم يرون حتى الأمم يهجرون أوثانهم ويركزون رجاءهم في إله إسرائيل بالمسيح، ينكرون المسيح الذي ولد من أصل يسى حسب الجسد، والذي صار ملكًا من ذلك الوقت إلى الآن؟ لأنه لو كانت الأمم تعبد إلها آخر، ولا تعترف بإله إبراهيم واسحق ويعقوب وموسى، لجاز لهم مرة أخرى أن يدّعوا بأن الله لم يأتِ.

٥. أما إن كان الأمم[2]* يكرمون نفس الإله الذي أعطى الناموس لموسى، وقرر الوعد لإبراهيم، والذي احتقر اليهود كلمته، فلماذا يجهلون، أو بالحري لماذا يتجاهلون، أن الرب الذي تنبأت عنه الكتب قد أشرق على العالم، وظهر له متجسدًا كما قال

---

[1]*﴿لا يزول قضيب من يهوذا ومُشترِعٌ من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب﴾ (تكوين ٤٩ : ١٠) شيلون فسرت بمعنى ﴿من له الحق﴾.أنظر قاموس الكتاب المقدس.

[2]*الوثنيون.

الكتاب "الرب الإله أنار علينا"[1]* وأيضًا ﴿أرسل كلمته فشفاهم ...﴾ (مزمور ١٠٧ : ٢٠)، وأيضًا ﴿لا رسول ولا ملاك بل الرب نفسه خلصهم﴾[2]*.

٦. ويمكن تشبيه حالتهم بإنسان غير متزن العقل يرى الأرض تضيئها الشمس ولكنه ينكر الشمس التي تنيرها. لأنه ماذا بقي لكي يفعله ذاك الذي ينتظرونه عندما يأتي؟ أيدعو الأمم؟ لقد تمت دعوتهم فعلاً أيبطل النبوة والملك والرؤيا؟ وهذا أيضًا تم. أيفضح فساد العبادة الوثنية؟ لقد فضحت وشجبت فعلاً. أيبيد الموت؟ لقد أبيد فعلاً.

٧. إذن فأي شيء لم يفعله المسيح ولم يحصل؟ وأي شيء لم يتم حتى يُصر اليهود على عدم إيمانهم؟ أقول لأنه إن كان – كما نرى فعلاً – لم يبق بعد ملك ولا نبي ولا أورشليم ولا ذبيحة ولا رؤيا بينهم بل امتلأت الأرض كلها من معرفة الله، والأمم تركوا فساد عبادتهم الوثنية، والتجأوا الآن إلى إله إبراهيم "بالكلمة" ربنا يسوع المسيح فيجب أن يكون واضحًا حينئذ – حتى لأشد الناس عنادًا أن المسيح قد أتى، وأنه أنار الكل إطلاقا بنوره، وأعطاهم التعليم الصحيح الإلهي عن أبيه.

٨. هكذا يستطيع المرء إن يُوبِخ اليهود بحق بهذه الحجج وبغيرها من الكتب الإلهية.

---

[1] *﴿الرب هو الله وقد أنار لنا ...﴾ (مزمور ١١٨ : ٢٧، أنظر أيضًا عدد ٦ : ٢٥).

[2] *﴿... فصار لهم مخلصًا. في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلصهم بمحبته ورأفته هو فَكّهُم ورفعهم وحملهم ...﴾ (إشعياء ٦٣ : ٨و٩)، أما الترجمة السبعينية فقد وردت هذه الفقرة هكذا ﴿فصار لهم مخلصًا من كل ضيقهم لا سفير ولا رسول بل خلصهم بنفسه لأنه أحبهم ونجاهم، وهو بنفسه فداهم﴾

الفصل الواحد والأربعون

الرد على اليونانيين. هل هم يعترفون بالكلمة؟[1]* إن كان يعلن نفسه في نظام وترتيب الكون فماذا يمنع ظهوره في جسد ما؟ الآن الجسد البشري جزء من الكل.

١. لا يستطيع المرء إلا أن يعجب غاية العجب من الأمم[2]* الذين بينما يضحكون على ما لا يدعو إلى الاستهزاء، لا يحسون بخزيهم، ولا يرون أنهم أقاموا لأنفسهم آلهة من خشب وحجارة.

٢. ومع أن حجتنا لا تحتاج إلى زيادة في البرهان والإيضاح، لكن تعال بنا نخجّلهم بالبراهين المقنعة، وبنوع أخص مما نراه نحن بأنفسنا، لأنه أي الأمور ترى من جانبنا سخيفة أو غير معقولة أو تدعو إلى السخرية؟ أهو مجرد قولنا إن "الكلمة" ظهر في الجسد؟ إنهم لو كانوا أصدقاء للحق، لاشتركوا معنا هم أيضًا في الاعتراف بحدوث هذا، دون أن يروا في القول سخفًا.

٣. وإن كانوا ينكرون وجود كلمة الله كلية، فإنه لا أساس لهذا الإنكار[3]*، إذ هم يستهزئون بما يجهلونه.

---

[1]* (Logos) لوغوس وهي اللفظة اليونانية المستعملة في إنجيل يوحنا لتعبِّر عن "الكلمة" وكانت هذه اللفظة حسب اصطلاح الفلسفة اليونانية (وخاصة فلسفة الرواقيين المنتسبة إلى زينون الفيلسوف اليوناني ٣٤٠ – ٢٦٠ ق.م) لتعبر عن القوة الحالة في الكون التي تمده بالحياة والضابطة لكل الأشياء.

[2]*وفي بعض الترجمات ﴿اليونانيين﴾

[3]*يسلم أثناسيوس هنا جدلاً –لإثبات قضيته– بمبادئ التعاليم الأفلاطونية الحديثة وقد كانت هذه التعاليم تدين بآراء "فيلو" فيما يختص بكلمة"Logos" . ولكن حتى في هذه الناحية كان يُشتَم في هذه التعاليم رائحة أفلاطون.

٤. وأما إن كانوا يعترفون بوجود كلمة الله، وأنه هو مدبر الكون، وأن الآب خلق به كل الكائنات، وأن الكل بعنايته ينالون النور والحياة والوجود، وأنه يملك على الكل ولذلك فإنه يعرف من أعمال عنايته، وبه يُعرف الآب، فأتوسل إليك أن تُمعِن التأمل فيما إذا كانوا يهزأون بأنفسهم وهم لا يدرون.

٥. ففلاسفة اليونانيين(وخاصة أفلاطون) يقولون إن الكون جسم (أو جسد) هائل، وهذا حق لأننا نراه، ونرى أجزاءه واقعة تحت حواسنا فإن كان كلمة الله في الكون الذي هو جسم، وإن كان قد اتحّد[1]* بكل الكون وبكل أجزائه، فما هو وجه الغرابة أو السخف إن قلنا إنه إتّحد بالإنسان أيضا؟

٦. لأنه لو كان حلوله في جسد أمرًا سخيفًا وغير معقول، لكان أمرًا سخيفًا أيضًا أن يتّحد بكل الكون ويعطي ضياء وحركة لكل الأشياء بعنايته، لأن الكون أيضًا جسد.

٧. أما إن كان قد لاق به أن يتحد بالكون، وأن يُعرف في الكل، وجب أن يليق به أيضًا أن يظهر في جسد بشري، وأن يستضئ به ذلك الجسد ويعمل، لأن البشرية جزء من الكل كسائر الأجزاء. ولو كان أمرًا غير لائق أن يتخذ جزءًا كأداة يعلم البشر بها عن لاهوته، لكان أمرًا في غاية السخف أن يُعرف بواسطة كل الكون أيضًا.

---

[1] *أو ﴿يسكن في كل﴾ حسب بعض الترجمات.

الفصل الثاني والأربعون

إن اتحاده بالجسد مؤسس علاقته بالخليقة بوجه الإجمال. وهو استخدم جسدًا بشرياً لأنه أراد أن يعلن نفسه للإنسان

١. نعلم أن الجسد كله يحيا ويستنير بالإنسان. فإن قال أحد إنه من السخافة أن تكون قوة الإنسان في إصبع رجله أيضًا، حُسب ذلك المرء غبياً وعديم التمييز، لأنه وهو يسلم أنه يسود كل الأجزاء، ويعمل فيها كلها، ينكر وجوده في الجزء أيضًا، هكذا يجب على من يسلم ويؤمن أن كلمة الله في كل الكون، وأن الكل يستضئ ويتحرك به، أن لا يحسبه سخافة أن ينال منه جسد بشري واحد حركة ونورًا.

٢. أما إن كانوا يتوّهمون أن ظهور المخلص في الإنسان -الأمر الذي نتحدث عنه- غير لائق، لأن الجنس البشري مخلوق، ومخلوق من العدم، فإنه يجب عليهم أن يخرجوه من الخليقة أيضًا لأنها هي أيضًا وجدت من العدم "بالكلمة".

٣. أما إذا لم يكن من السخافة أن يكون "الكلمة" في الخليقة، رغم أنها شيء مخلوق، فإنه ليس من السخافة كذلك أن يكون هو في الإنسان. لأن أية فكرة يكّونونها عن الكل، يجب أن يطبقوها على الجزء بطبيعة الحال. والإنسان أيضًا جزء من الكل، كما بيّنت سابقًا.

٤. إذن ليس في ذلك شيء من عدم اللياقة على الإطلاق، أن يحل "الكلمة" في إنسان، طالما كانت كل الأشياء تستمد منه نورها وحركتها وحياتها، كما يقول كتبتهم ﴿لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد﴾ (أعمال ١٧ : ٢٨).

٥. وأي شيء يُوجب الاستهزاء فيما نقوله، إن كان "الكلمة" قد استخدم ذلك الجسد الذي حل فيه كأداة ليعلن ذاته فيها؟ لأنه لو لم يكن حالاً فيه لما أمكن

استخدامه. وإن كنا قد سبق فسّلمنا بوجوده في كل الكـون وفي أجزائـه، فما الـذي لا يصدق في إظهاره ذاته فيما هو حال فيه؟

٦. لأنه بسلطانه متّحد بكل شيء وبكل الأشياء، ويضبط كل الأشياء بقدرة لا حد لها. فلو أراد أن يتحدث ويعلن ذاته وأباه بواسطة الشمس أو القمر أو السماء أو الأرض أو المياه أو النار، لَمَا تجرأ أحد أن يقـول إن ذلـك في غير محلـه، إذ هـو ممسك الكل في وقت واحد، وهو في الواقع ليس موجودًا في الكل فحسب، بل موجود أيضًا في ذلك الجزء الذي نتحدث عنـه، والـذي فيـه أظهر ذاتـه بطريقة غير منظـورة، هكـذا أيضًا لا يمكن أن يكون سـخيفًا إن كـان -وهـو ضابط كـل الأشياء ومـانح الحيـاة لها أجمع، وأراد أن يُعلـن نفسه في البشر- قـد استخدم جسـدًا بشـرياً كـأداة ليعلـن فيـه الحق ومعرفة الآب، لأن البشرية هي أيضًا جزء فعليٌّ من الكل.

٧. وكما أن العقل، وهو يتخلل الإنسان بكليته، يُعبر عنه جزء واحد من الجسم، أعـني اللسان، دون أن يقـول أحـد باحتقـار جوهـر العقـل لهـذا السـبب، هكـذا إن كـان "الكلمة" وهو يتخلل كل الأشياء قد استخدم أداة بشرية، فلا يمكن أن يكـون ذلـك غير لائق به، لأنه كما قلت سابقًا، لو كان غير لائق أن يتخـذ جسدًا كـأداة، لكـان غـير لائق به أيضًا أن يكون في الكل.

الفصل الثالث والأربعون

لقد جاء في شكل بشري وليس في شكل أسمى لأنه:

١ـ جاء ليخلص لا ليبهر الأنظار ويؤثر على الألباب.

٢ـ لأن الإنسان وحده هو الذي أخطأ دون سائر المخلوقات. البشر لم يريدوا أن يروا أعماله في الكون ولذا جاء وعمل بينهم كإنسان في الدائرة التي حصروا أنفسهم فيها.

١. والآن إذا سألوا قائلين: لماذا لم يظهر بواسطة أجزاء أخرى من الخليقة أشرف وأسمى، ويستخدم أداة أشرف كالشمس أو القمر أو الكواكب أو النار أو الهواء، بدلاً من مجرد الإنسان؟ فليعلموا أن الرب لم يأتِ لكي يتظاهر ويتباهى بل لكي يشفي أولئك الواقعين تحت الآلام ويعلمهم.

٢. فالطريق لمن يريد أن يتظاهر هو أن يظهر ويبهر الناظرين ويذهل عقولهم. أما من يطلب أن يشفي ويعلم الطريق، فعليه أن لا يكتفي بمجرد حلوله هنا، بل يقدم نفسه لمساعدة المحتاجين، وأن يظهر في الشكل الذي يحتمله من هم في حاجة إليه، لئلا -إذا أفرط في سد حاجة المتألمين- يزعج المحتاجين إليه، وبذلك يجعل ظهور الله عديم الجدوى لهم.

٣. والواقع أنه لم يضل أحد من الخليقة عن الله إلا الإنسان وحده. فلا الشمس ولا القمر ولا السماء ولا الكواكب ولا الماء ولا الهواء انحرفت عن نظامها، ولكنها إذ

عرفت صانعها وضابطها "الكلمة" فهي باقية كما صُنعت[1]* أما البشر وحدهم، فإذ رفضوا ما هو صالح، اخترعوا أشياء من العدم عوض الحق، ونسبوا الكرامة المستحقة، ومعرفتهم له، إلى الجن والبشر في شكل حجارة.

٤. وإذ لم يكن لائقاً بصلاح الله أن يتغاضى عن أمر خطير كهذا، ولأن البشر كانوا لا يزالون عاجزين عن أن يدركوا أنه هو ضابط ومدبر الكل، لذلك كان صوابًا أن يتخذ لنفسه جزءًا من الكل كأداة أي جسده البشري، ويتحد به[2]* حتى لا يعجز البشر عن أن يدركوه في الجزء، وبعد أن عجزوا عن أن يتطلعوا إلى سلطانه غير المنظور يستطيعون على أي حال أن يدركوه ويتأملوا فيه (فيما يشبههم).

٥. لأنهم، وهم بشر، يستطيعون أن يعرفوا أباه مباشرة وبأوفر سرعة في جسد مماثل لهم، وبالأفعال الإلهية التي تتم به، إذ يحكمون بالمقارنة أن هذه الأعمال التي يعملها ليست أعمالاً بشرية، بل هي أعمال الله.

٦. ولو كان سخافة، كما يدّعون، أن يُعرف "الكلمة" بأعمال الجسد، لكان سخافة أيضًا أن يعرف بأعمال الكون، لأنه موجود في الخليقة ومع ذلك لا يشترك في طبيعتها بأي حال من الأحوال، بل بالحري إن كل الأشياء تشترك في سلطانه كذلك عندما اتّخذ الجسد أداة له لم يشترك في خواصه الجسدية، بل هو بالعكس قدّس الجسد.

---

[1]*وقد أجاد الشاعر "كبل" (Keble) كل الإجادة في وصف هذه الحقيقة إذ قال:

All true, all faultless, all in tone, creation's wondrous choir Opened in mystic unison, to last till time expire, And still it lasts; by day and night with one consenting voice.

All hymn Thy glory, Lord, aright, all worship and rejoice; Man only mars the sweet accord....

[2]*أو (ويسكن فيه)

٧. وحتى "أفلاطون" -الذائع الصيت بين اليونانيين بهذا المقدار- يقول: إن منشئ الكون إذ رآه مضطربًا كاضطراب السفينة وسط البحر، وفي خطر أن يغرق في الهاوية السحيقة، جلس على دفة النفس، وأتى لينجيها من كل مصائبها. فأي شيء لا يصدق فيما نقول إن البشرية إذ أخطأت استقر عليها[١]* "الكلمة"، وظهر كإنسان حتى يخلصها – بإرشاده[٢]* – وصلاحه – من العواصف والاضطرابات.

---

[١]*أو (جلس عليها) أو (جلس على دفتها) حسب الترجمة الحرفية.

[٢]* (بتدبيره) كبعض الترجمات.

الفصل الرابع والأربعون

وإن كان الله قد خلق الإنسان بكلمة فلماذا لا يرده بكلمة ولكن:

١ـ الخلقة من العدم تختلف عن إصلاح ما هو موجود فعلاً.

٢ـ والإنسان كان موجودًا وله حاجة معينة ويتطلب علاجًا معينًا. ولقد تأصل الموت في طبيعة الإنسان. فكان لابد أن يقرب الحياة للطبيعة البشرية بل يمزجها بها. لذلك تجسّد الكلمة لكي يلتقي بالموت ويقهره في دائرته المغتصبة. (تشبيه بالقش والأسبستوس)

١. ولعلهم -إذ يخجلون عن الموافقة على هذا- يفضلون أن يقولوا إن كان الله قد أراد أن يصلح البشرية ويخلصها، وجب أن يتمم ذلك بمجرد نطق ملكي كريم، دون حاجة إلى تجسد "الكلمة" أي بنفس الطريقة التي أتّبعها سابقًا عندما أوجدها من العدم.

٢. أما عن اعتراضهم هذا فنجيبهم جوابًا معقولاً قائلين: سابقًا لم يكن شيء موجودًا على الإطلاق، فالذي كان مطلوبًا لخلقة كل شيء هو النطق الملكي، ثم مجرد الإرادة لإتمام ذلك. أما وقد خُلق الإنسان، وأصبح الأمر يحتاج إلى علاج ما هو موجود ووصل الأمر إلى تلك الحال، لا ما هو ليس موجودًا، لهذا السبب، ولكي يُبرئ الموجود، دعت الضرورة بطبيعة الحال أن يظهر الطبيب. والمخلص تأنس، واستخدم جسده أداة بشرية.

٣. وإن لم تكن هذه هي الطريقة المُثلى فكيف كان ممكنًا "للكلمة" -وقد إختار أن يستخدم أداة- أن يظهر؟ ومن أين كان ممكنًا أن يتّخذها سوى من الموجودين فعلاً، الذين هم في حاجة إلى لاهوته بواسطة شخص مشابه لهم؟ لأن الخلاص لم

يكن مطلوبًا لما ليس له وجود حتى كان يكفي مجرد صدور أمر، ولكن الإنسان الذي كان موجـودًا فعلاً، كـان منحـدرًا إلى الفساد والهلاك[1]* لهـذا كـان طبيعياً وعـدلاً أن يستخدم "الكلمة" أداة بشرية، ويُعلن نفسه في كل مكان.

٤. ثم يجب أن تعلم أيضًا، أن الفساد الذي حصل لم يكن خارج الجسد بل لصق بـه، وكان مطلوبًا أن تلتصق به الحياة عِوض الفساد، حتى كما تمكّن الموت مـن الجسـد، تتمكن منه الحياة أيضًا.

٥. والآن لـو كـان المـوت خـارج الجسـد لكـان مـن اللائـق أن تتصـل بـه الحيـاة مـن الخارج. أما وقد صار المـوت ممتزجًا بالجسد وسائدًا عليه، كما لـو كـان متحـدًا بـه، فكان مطلوبًا أن تمتزج الحياة أيضًا، حتـى إذا مـا لبس الجسـد الحياة بـدل المـوت، نزع عنه الفساد. وفضلاً عن هذا فلـو افترضنـا أن "الكلمـة" جـاء خـارج الجسـد وليس فيه، لكان الموت قد غلـب منه (من المسيح) وفقًا للطبيعـة، إذ ليس للمـوت سـلطان على الحياة، أما الفساد اللاصق بالجسد فكان قد بقي فيه رغم ذلك.

٦. لهذا السبب كان معقولاً جدًا أن يلبس المخلص جسدًا، حتى إذا ما اتحـد الجسـد بالحياة، لا يبقى في الموت كمائت، بل يقوم إلى عدم الموت إذ يلبس عدم الموت. وما دام قد لبس الفساد، فما كان ممكنًا أن يظهر المـوت إلا في الجسـد وفقًا لطبيعتـه، لهذا لبس "المسيح" جسدًا لكـي يلتقي بالموت في الجسد ويُبيده. لأنه كيف كـان ممكنًا إقامة الدليل على أن الرب هو "الحياة" لو لم يكن قد أحيا ما كان مائتًا[2]*

---

[1] *لو أن الخلاص قد تم بمجرد صدور أمر لكان هذا دليلاً على قدرة الله، أما التجسد فهو دليل محبته.

[2] *أي قابلاً للموت.

٧. والمعلوم أن القش[١]* تفنيه النار بطبيعة الحال. فلنفرض أولاً: أن إنساناً أبعد النار عن القش. فإن القش ولو لم يحترق، يبقى رغمًا عن ذلك مجرد قش يخشى خطر النار، لأن للنار خاصية إحراقه، ثانياً: بينما لو أحاطه بمادة الإسبستوس -التي يقال عنها[٢]* أنها تصمد أمام النار- فإن القش لا يرهب النار فيما بعد، إذ قد تحصن بإحاطته بمادة غير قابلة للاحتراق.

٨. كذلك أيضًا بنفس هذه الطريقة يستطيع المرء أن يقول عن الجسد والموت، أنه لو كان الموت قد أبعد عن الجسد بمجرد إصدار أمر من الله، لبقي -رغم ذلك- قابلاً للموت والفساد حسب طبيعة الأجساد ولكن، لكي لا يكون هذا حال الجسد، فقد لبس "الجسد" كلمة الله الخالي من الجسد، ولذلك فإنه لا يعود يرهب الموت أو الفساد، لأنه لبس الحياة كثوب، ولأن الفساد قد أُبيد فيه.

---

[١] *او القصب.

[٢] * أنظر فصل ٢٨ : ٦ ويظهر أنه لم يشهد تلك المادة.

الفصل الخامس والأربعون

ومرة أخرى نقرر أن كل جزء من الخليقة يعلن مجد الله. فالطبيعة وهي تشهد لخالقها ـ تقدم شهادة ثانية "بالمعجزات للإله المتجسد وإذ انحرفت شهادة الطبيعة بسبب خطية الإنسان فقد ألزمت للرجوع إلى الحق. وإن لم تكف هذه البراهين فليتأمل اليونانيون في الوقائع والحقائق الثابتة.

١. إذن اقتضى الحال أن يأخذ كلمة الله جسدًا، ويستخدم أداة بشرية، لكي يحيي الجسد أيضًا. وكما أنه معروف في الخليقة بأعماله فيجب أن يعمل في الإنسان أيضًا، ويظهر نفسه في كل مكان لكي لا يترك شيئا من لاهوته ومن معرفته.

٢. وأعود فأكرر ما سبق أن ذكرته، إن المخلص فعل ذلك، حتى، كما يملأ كل الأشياء في كل الجهات بوجوده، كذلك أيضًا يملأ كل الأشياء من معرفته، كما يقول الكتاب المقدس أيضًا ﴿الأرض كلها امتلأت من معرفة الرب﴾[1]*.

٣. لأنه إن تطلع الإنسان فقط إلى السماء فإنه يرى مدبرها، أو إن كان لا يستطيع أن يرفع وجهه إلى السماء بل للإنسان[2]* فقط فإنه يرى سلطانه[3]* – الذي لا وجه لمقارنته بسلطان البشر ظاهرًا في أعماله، ويدرك أنه وحده بين البشر هو الله "الكلمة". وإذا ضل إنسان بين الشياطين وارتعب منهم، لاستطاع أن يرى هذا الإنسان يطردها، ولأيقن أنه هو سيدها. وإذا غرق إنسان في المياه وتوهم أنها هي

---

[1]*﴿الأرض تمتلئ من معرفة الرب﴾ (إشعياء ١١ : ٩).

[2]*أي الله الذي ظهر كإنسان.

[3]*أي سلطان الله.

الله، كما كان المصريون القدماء مثلاً يعبدون الماء، لاستطاع أن يرى طبيعتها تتغير بسلطانه، ويدرك أن الرب هو خالق المياه.

٤. أما إذا أنزل امرؤ حتى إلى الهاوية[1]*، ووقف خاشعًا أمام الأبطال الذين نزلوا إليها معتبرًا إياهم آلهة فإنه لا يزال يستطيع أن يرى حقيقة قيامة المسيح وغلبته على الموت، ويتيّقن أن المسيح بينهم أيضًا هو وحده إله حق ورب حق.

٥. لأن الرب لمس كل أجزاء الخليقة، وحررها كلها من كل خداع كما يقول بولس ﴿إذ نزع عن نفسه الرياسات والسلاطين ظفر بهم على الصليب﴾[2]* لكي لا يعود أي إنسان ينخدع، بأي حال من الأحوال، بل يجد في كل مكان كلمة الله الحق.

٦. وهكذا إذ أُغلق على الإنسان من كل ناحية[3]*، وإذ يبصر لاهوت الكلمة معلنًا في كل مكان، أي في السماء، وفي الهاوية، وفي الإنسان وعلى الأرض، لا يصير بعد معرضًا للخداع والضلال عن الله، بل يعبد المسيح وحده، وبه يأتي مباشرة ليعرف الآب.

٧. بهذه البراهين المعقولة لا شك في أننا نخزى الأمم بدورهم. وأما إن رأوا البراهين لا تكفي لتخجيلهم، فليصدقوا على أي حال ما نقدمه من وقائع ظاهرة أمام أنظار الجميع.

---

[1] *الجحيم.

[2] *﴿إذ جرَّد الرياسات والسلاطين وأشهرهم جِهارًا ظافرًا بهم فيه﴾ (أي في الصليب) (كولوسي ٢: ١٥).

[3] *إن التجسد يُكّمل دائرة شهادة الله نفسه ومسئولية الإنسان.

الفصل السادس والأربعون

منذ وقت التجسد افتضحت العبادة الوثنية، واستشارة الأوثان، والتكهن بالغيب (العرافة)، والأساطير الخرافية، والأعمال الشيطانية، والسحر والفلسفة الوثنية وبينما نرى العبادات القديمة محلية جدًا، ومستقلة بعضها عن بعض، نرى عبادة المسيح جامعة وعلى نسق واحد.

١. ومتى بدأ البشر يهجرون عبادة الأصنام إلا عندما حل الله -كلمة الله الحقيقي- بين البشر؟ ومتى بَطُلَت استشارة الأوثان بين اليونانيين وفي كل مكان، وصارت باطلة، إلا عندما أظهر المخلص نفسه على الأرض؟

٢. ومتى ظهرت حقيقة من دعاهم الشعراء آلهة وأبطالاً واتضح بأنهم مجرد بشر يفنون، إلا منذ أتم الرب نصرته على الموت وحفظ الجسد الذي اتخذه غير فاسد، إذ أقامه من الأموات؟

٣. ومتى احتقرت غواية وجنود الشياطين، إلا عندما تنازلت -من أجل ضعف البشر- قوة الله، "الكلمة" سيدها كلها وظهر على الأرض، ومتى ابتدأت فنون السحر ومدارسه تُداس إلا عندما صار الظهور الإلهي "الكلمة" بين البشر؟

٤. وبالإجمال متى صارت حكمة اليونانيين جهالة، إلا عندما استعلنت حكمة الله الحقيقية على الأرض؟ فقديمًا ضل العالم بأسره، بعبادة الأوثان، ولم يعتقد البشر إلا في الأوثان كآلهة. أما الآن ففي العالم كله تجد البشر يهجرون خرافة الأوثان ويلجأون للمسيح، وإذ يعبدونه كإله يعرفون به أيضًا الآب الذي كانوا يجهلونه.

٥. والأمر المدهش أنه بينما تنوّعت المعبودات وتعددت، وصار لكل مكان وثنه الخاص، وذاك الذي كان يعتبر إلهًا بينهم لم يكن له سلطان على المكان القريب منه

ليقنع الشعوب المجاورة بعبادته، بل كان بالجهد يعبد بين شعبه، لأنه لم يعبد أحد قط إله جاره، بل بالعكس كان كل واحد يتمسك بوثنه، معتبرًا إياه سيد الكل - ترى المسيح وحده يُعبد بين كل الشعوب إلهًا واحدًا، وما لم يستطع أن يعمله ضعف الأوثان، أي إقناع (حتى من يعيشون بينها) فعله المسيح إذ أقنع ليس من يعيشون بين يديه فقط، بل كل بلاد العالم ليعبدوا ربًا واحدًا، وفيه يعبدون الله إياه.

الفصل السابع والأربعون

القضاء بعلامة الصليب على العرافات المتعددة والأشباح التي يتوهم ظهورها في الأماكن المقدسة ... الخ. البرهان على أن الآلهة القديمة ما هي إلا مجرد بشر. افتضاح السحر وبينما لم تستطع الفلسفة إلا أن تقنع جماعة محدودة محلية بالخلود والصلاح، فإن بعضاً من البشر ذوي الكفاءة المحدودة استطاعوا أن يقنعوا الجماهير العديدة في كل الكنائس بمبدأ الحياة السامية.

١. وبعد أن امتلأ كل مكان في القديم بغواية التنجيم والعرافة التي اشتهرت جدًا في دلفي ودونا، وفي بوتيا وليكيا وليبيا ومصر، وامتلأ بعبادة الكابيريين[1]*، وغواية آلهة النبوءة[2]*، قد بطل الآن جنونهم، ولم يعد أحد منهم ينجم بعد، وذلك منذ بُشِر بالمسيح في كل مكان.

٢. وبعد أن أضلت الشياطين عقول البشر قديمًا، إذ احتلت الينابيع والأنهار، والأشجار والحجارة، وهكذا أثرت على البسطاء بشعوذتها، بطلت الآن غوايتها بعد الظهور الإلهي للكلمة، لأنه بعلامة الصليب يستطيع حتى الإنسان العادي أن يفضح ضلالاتها.

---

[1] *عبادة قديمة كانت تمارس في كثير من المقادس وبنوع خاص في ساموثراكي ولمنوس.

[2] *في الأصل اليوناني "بيتيا" أي ربة النبوة.

٣. وبعد أن كان البشر سابقًا يعتقدون في زفس[1]* وكرونوس[2]* وأبوللّو[3]* والأبطال المدونين في أشعارهم، أنهم آلهة، وانخدعوا في عبادتها، فإنه الآن – بعد أن ظهر المخلص بين البشر – افتضح أمر أولئك، وظهر أنهم ليسوا سوى بشر يفنون، وعرف المسيح وحده بين البشر أنه هو الإله الحقيقي كلمة الله.

٤. وماذا يقول المرء عن السحر الذي انتشر بين البشر؟ فإنه قبل حلول الكلمة بيننا كانت له قوته وتأثيره بين المصريين والكلدانيين والهنود، وكان يبعث الخوف والرهْبة في كل من شهده. أما بعد حضور "الحق" وظهور "الكلمة"، فقد دُحض كلية وأُبطل بالتمام

٥. أما عن حكمة الأمم، وادعاءات الفلاسفة الجوفاء، فلست أظن أن أحدًا يحتاج إلى براهيننا، ما دام العجب العجاب أمام أعين الجميع. إذ بينما كتب حكماء اليونانيين كثيرًا جدًا، وعجزوا حتى عن إقناع نفر قليل من جيرانهم بحقيقة الخلود وضرورة الحياة الفاضلة، فإن المسيح وحده، بلغة عادية، وبأشخاص غير فصيحي اللسان، أقنع كنائس برمتها ممتلئة من البشر في كل العالم، أن يحتقروا الموت ويتأملوا فيما يتعلق بالخلود، ويتغاضوا عن الزمنيات، ويوجهوا أنظارهم إلى الأبديات، وأن لا يفكروا في المجد الأرضي، بل يجاهدوا فقط لأجل المجد السماوي.

---

[1] *زحل.

[2] "عطارد" في الأصل اليوناني.

[3] *إله الجمال والرجولة والموسيقى عند اليونانيين قديمًا.

الفصل الثامن والأربعون

حقائق أخرى. عفة العذارى المسيحيات. والرهبان والشهداء. قوة الصليب ضد الشياطين والسحر. المسيح أظهر بقوته أنه أعظم من البشر ومن الأرواح، وأعظم من السحرة، لأن هذه كلها خاضعة له كل الخضوع إذن فهو كلمة الله.

١. على أن هذه البراهين التي قدمناها لا تستند إلى مجرد حجج كلامية، ولكن هناك اختبارات عملية تشهد لصحتها.

٢. فليذهب من أراد ويعاين دليل العفة في عذارى المسيح والشبان الذين يعيشون حياة العفة المقدسة، أو دليل الثقة في الخلود في ذلك العدد الجم من شهدائه.

٣. وليأتِ من أراد أن يختبر عملياً أقوالنا السابقة. وليستعمل - وسط خداع الشياطين وخزعبلات العرافين وأعاجيب السحر - علامة الصليب المُستَهزأ به بينهم، فيرى كيف تهرب الشياطين بواسطته وتبطل العرافة، ويباد السحر والتنجيم.

٤. فمن هو المسيح هذا وما أعظمه، الذي -باسمه وبحضوره- يطرح كل الأشباح في الظلام ويبيدها، والذي يقوى وحده على الكل والذي ملأ كل العالم بتعليمه؟ ليخبرنا اليونانيون الذين يسرون بالاستهزاء ولا يخجلون.

٥. لأنه لو كان إنسانًا فكيف أُتيح لإنسانٍ واحد أن يتفوق على قوة كل من ادّعوا في أنفسهم بأنهم آلهة، وأن يفضحهم بقوته ويظهر بأنهم لا شيء؟ وإن دعوه ساحرًا فكيف يمكن أن يُباد كل سحر على يد ساحر واحد بدلاً من توطيد دعائمه؟ لأنه لو كان قد

قهر سحرة معينين، أو غلب مجرد ساحر واحد فقط لجاز لهم أن يدّعوا بأنه فاق الباقين بمجرد الحكمة الفائقة.

٦. أما إن كان صليبه قد حاز الانتصار على كل سحر على وجه الإطلاق، وعلى اسم السحر نفسه، فيتضح من ذلك أن المخلص ليس ساحرًا، إذ أن الشياطين نفسها – التي يستدعيها باقي السحرة تولي هاربة منه كسيدها.

٧. من هو إذن؟ فليخبرنا اليونانيون الذين حصروا كل همهم في الاستهزاء. لعلهم يقولون إنه هو أيضًا كان شيطانًا ومن هنا كانت قوته. ولكن ليقولوا ما شاءوا. فإن إستهزاءهم يرتد عليهم، إذ من الممكن تخجيلهم مرة أخرى ببراهيننا السابقة لأنه كيف يمكن أن يكون شيطانًا من يطرد الشياطين؟

٨. ولو كان قد اكتفي بأن يطرد شياطين معينة، لجاز القول أنه برئيس الشياطين غلب الشياطين الأضعف، كما قال له اليهود عندما أرادوا إهانته أما إن كان بمجرد تسمية اسمه قد استؤصل كل جنون الشياطين وطردت بعيدًا، فقد اتضح هنا أيضًا أنهم على ضلال مبين، وأن ربنا ومخلصنا المسيح ليس قوة شيطانية كما يتوهمون.

٩. وإن كان المخلص ليس مجرد إنسانٍ، ولا ساحرًا، ولا شيطانًا، ولكنه بلاهوته أباد وطرح في الظلمات تعاليم الشعراء، وضلالات الشياطين، وحكمة الأمم[1]*، فإنه يتضح جلياً ويجب أن يعترف الجميع، أن هذا هو ابن الله الحقيقي، كلمة الآب، وحكمته وقوته – منذ البدء. وهذا هو السبب أيضًا في أن أعماله ليست أعمال إنسان، ولكنها تسمو فوق أعمال الإنسان، وأنها بالحقيقة أعمال الله سواء كان من جهة الوقائع نفسها أم من مقارنتها بأعمال سائر البشر.

---

[1]*اليونانيين

الفصل التاسع والأربعون

ميلاده ومعجزاته. أنتم تدعون اسكولاب وهرقل وديونيسيوس آلهة بسبب أعمالهم. فقارنوا بين أعمالهم وأعماله، والعجائب التي تمت عند موته ... الخ

١. أي إنسان ولد قط واتخذ لنفسه جسدًا من عذراء فقط؟ أو أي إنسان شفي أمراضًا كتلك التي شفاها رب الكل؟ أو من ذا الذي رد للإنسان ما كان ينقص طبيعته، وجعل الأعمى منذ ولادته يبصر؟

٢. لقد اعتبر اسكولاب[١]* عندهم إلهًا لأنه مارس الطب واكتشف للأجساد المريضة حشائش لم يخلقها من الأرض، بل اكتشفها بالعلم المستمد من الطبيعة. وأين هذا مما فعله المخلص الذي بدلا من شفاء الجرح أصلح طبيعة الإنسان الأصلية وأعاد الجسد سليمًا؟

٣. وهرقل[٢]* عبده اليونانيون كإله لأنه حارب بشرًا مثله، وفتك بوحوش برية بخداعه، وأين هذا مما فعله "الكلمة" إذ طرد من الإنسان الأمراض والشياطين، بل الموت نفسه؟ وديونيسيوس عبدوه لأنه علّم الإنسان شرب المسكرات، أما المخلص الحقيقي ورب الكل، فإنه يهزأ به هؤلاء القوم لأنه علم العفة والاعتدال.

٤. لكن دعنا من كل ذلك. فماذا يقولون عن معجزات لاهوته الأخرى؟ أي إنسان أظلمت الشمس وتزلزلت الأرض عند موته؟ هو ذا إلى هذا اليوم يموت البشر، بل ماتوا أيضًا في القديم فمن منهم حدثت عند موته عجائب كتلك؟

---

[١] *إله الطب عند اليونانيين.

[٢] *إله القوة والحرب.

٥. أودعنا من الأعمال التي عملها في جسده، ولنذكر تلك التي تمت بعد قيامته: فأي إنسان ساد تعليمه في كل مكان بشكل واحد من أقاصي الأرض إلى أقاصيها حتى أن عبادته إمتدت إلى كل المسكونة؟

٦. أو إن كان المسيح إنسانًا، كما يزعمون، وليس الله "الكلمة" فلماذا لا تمنع آلهتهم عبادته من أن تنتقل إلى نفس البلاد التي تحتلها؟ ولماذا ترى -على العكس من ذلك- أن الكلمة نفسه وقد حل ههنا، أوقف بتعليمه عباداتها وفضح ضلالها؟

الفصل الخامس

بموت المسيح اتضح ضعف الفالطين ومنافساتهم. قيامته لا مثيل لها

١. لقد جاء قبل هذا الإنسان (المسيح) كثيرون، ممن صاروا ملوكًا وطغاة في العالم، ولقد سجلت في التاريخ أسماء الكثيرين من الحكماء والسحرة بين الكلدانيين والمصريين والهنود فمن منهم استطاع، لا بعد موته بل حتى في حياته، أن ينجح في أن يملأ الأرض بتعاليمه، ويهذب مثل تلك الجماهير الغفيرة، وينقلهم من أباطيل الأوثان، كما فعل مخلصنا، إذ نقل إلى نفسه الكثيرين من عبدة الأوثان؟

٢. لقد سطّر فلاسفة اليونانيين مصنفات كثيرة بحكمة ومهارة فأين هي النتيجة التي أحرزوها بازاء ما فعله صليب المسيح؟ فثقافتهم التي علّموها كانت مقبولة حتى وفاتهم فقط، ولكن حتى النفوذ الذي كان يبدو أنهم أحرزوه في حياتهم، كان خاضعًا لمنافستهم المتبادلة، إذ كانوا يغارون بعضهم من بعض، كما كانوا يلقون الخطابات المثيرة بعضهم ضد بعض.

٣. أما "كلمة" الله، فالعجيب جدًا، أنه مع تعاليمه بلغة أبسط، قد غطى على أفضل السفسطائيين. وبينما نراه يبطل مدارسهم فقد ملأ كنائسه، وذلك بجذبه الجميع إلى نفسه. والأمر العجيب أنه، بنزوله إلى الموت كإنسان، بدد أصوات الحكماء، ولاشى تعاليمهم عن الأوثان.

٤. ومن ذا الذي بموته طرد الشياطين قط؟ ومن ذا الذي ارتاعت الشياطين من موته كما فعلت عند موت المسيح؟ لأنه حيث سمي اسم المخلص، هناك طرد كل شيطان. ومن ذا الذي خلص البشر من شهوات وضعفات الإنسان الطبيعية، حتى صار

الفجار عفيفين، والقتلة لا يحملون السيف فيما بعد، والذين تملكهم الجبن والخوف قديمًا تشجعوا؟

٥. وبالإيجاز من ذا الذي أقنع البشر في البلاد الهمجية، وجماعة الوثنيين في الأماكن المتنوعة، ليتخلوا عن جنونهم ويعملوا للسلام، غير الإيمان بالمسيح وعلامة الصليب؟ أو من ذا الذي أكد للبشر حقيقة الخلود، كما فعل صليب المسيح وقيامة جسده؟

٦. فرغمًا عن أن اليونانيين نطقوا بكل نوع من الأساطير الكاذبة، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يدّعوا القيامة لأوثانهم إذ لم يخطر ببالهم قط أن يتاح للجسد الوجود ثانية بعد الموت. وهنا لا يسع المرء بصفة خاصة إلا أن يقبل شهادتهم، لأنهم بذلك كشفوا عن ضعف عبادتهم الوثنية، بينما يعترفون بالقدرة للمسيح، حتى بذلك أيضًا يعرف عند الكل كابن الله.

الفصل الواحد والخمسون

الفضيلة الجديدة عن العفة. تهدئة الثورة الاجتماعية، وتطهيرها، بواسطة المسيحية

١. وأيضًا مَن مِن البشر علّم بعد موته، أو حتى في حياته، عن حياة البتولية، وأثبت أن هذه الفضيلة ليست مستحيلة بين البشر؟ أما المسيح مخلصنا وملك الكل فكانت له قوة عظيمة في تعليمه عنها، حتى أن الأحداث الذين لم يكملوا بعد سن البلوغ، كانوا ينذرون أنفسهم ليعيشوا حياة البتولية التي تفوق الناموس الطبيعي.

٢. أي إنسان استطاع بأي حال أن يبسط نفوذه إلى أبعد مدى، فيصل إلى السكيثيين والأحباش، أو إلى الفرس والأرمن والغوطيين، أو إلى من نسمع عنهم فيما وراء البحار، أو الذين وراء بلاد أركانيا[1]*، بل إلى المصريين والكلدانيين، هؤلاء الذين يهتمون بالسحر والخرافات التي وراء الطبيعة، المتوحشين في طرقهم، ثم نادى بالفضيلة وضبط النفس، وندّد بعبادة الأوثان، كما فعل رب الكل، قوة الله، ربنا يسوع المسيح؟

٣. الذي لم يكرز بواسطة تلاميذه فقط، بل حمل الإقناع أيضًا إلي عقول البشر ليتخلوا عن فظاظة طباعهم، ويكفّوا عن عبادة آلهة آبائهم، بل ليتعلموا أن يعرفوه، وأن يعبدوا الآب عن طريقه؟

٤. فاليونانيون والبرابرة اعتادوا قديمًا -إذ كانوا في عبادتهم الوثنية- أن يحاربوا بعضهم بعضًا، وكانوا فعلاً قساة على بني جنسهم، إذ كان مستحيلاً أن يعبر الواحد

---

[1] أركانيا اسم قديم لمقاطعة في آسيا، ما بين الفرس وبحر قزوين(على حدود روسيا)

منهم بحرًا أو أرضًا دون أن يسلح نفسه بالسيوف، بسبب الحروب التي كانت قائمة بينهم بغير انقطاع.

٥. لأنهم كانوا يقضون كل حياتهم شاهرين السلاح، وكان لهم السيف عوض العصي، يعتمدون عليه في كل الطوارئ، مع أنهم كانوا لا يزالون يعبدون الأوثان، ويقدمون الذبائح للشياطين، ولم يستطيعوا التخلص من هذه الروح، رغم كل أباطيل عبادتهم الوثنية.

٦. ولكنهم عندما انتقلوا إلي تعاليم المسيح - كان من الغريب جدًا أن يُنخسوا في ضمائرهم حقًا، ويتخلوا عن وحشية القتل، ولم يعودوا يفكرون في الحرب، بل صاروا في سلام تام، وأصبح أحب شيء إليهم منذ ذلك الوقت كل ما يؤول إلي المودة والوئام.

الفصل الثاني والخمسون

الحرب التي حركها الشياطين أبطلتها المسيحية

١. إذن من ذا الذي فعل هذا، ومن ذا الذي وحّد المتغاضبين وجعلهم في سلام تام، إلا ابن الآب المحبوب، مخلص الكل، يسوع المسيح، الذي بمحبته احتمل كل شيء لأجل خلاصنا؟ لأنه منذ القديم تُنبئ عن السلام الذي كان مزمعًا أن يأتي به، حيث يقول الكتاب ﴿... فيطبعون سيوفهم سككًا[1]* ورماحهم (حرابهم) مناجل، لا ترفع (تشهر) أمة على أمة سيفًا، ولا يتعلمون الحرب فيما بعد﴾ (إشعياء ٢ : ٤).

٢. وهذا على الأقل أمر لا يقبل أي شك، فإنك حتى الآن تجد هؤلاء البربر، ذوي الأخلاق الوحشية بفطرتهم، عندما يكونون لا يزالون قائمين بتقديم الذبائح لأصنام بلادهم، يقومون ضد بعضهم البعض بحالة جنونية، ولا يحتملون البقاء ساعة واحدة بدون سلاح.

٣. ولكن عندما يسمعون تعاليم المسيح، فإنهم في الحال يلتفتون إلي الفلاحة عوض الحروب، وبدلاً من تسليح أيديهم بالأسلحة فإنهم يرفعونها في الصلاة. وبالإجمال فإنهم بدلاً من أن يحاربوا بعضهم بعضًا يتسلحون ضد الشيطان والأرواح الشريرة، ويخضعونها بكبح جماح النفس وبفضيلة الروح.

٤. وهذا بلا شك دليل على لاهوتية المخلص، لأن ما عجز البشر عن أن يتعلموه من الأوثان قد تعلموه منه، كما أنه افتضاح شديد لضعف الشياطين والأوثان ودليل على

---

[1] *المقصود بها أسلحة المحراث.

أنها لا شـيء، لأن الشياطين إذ عرفت ضعفها حرّضت البشر قديمًا على أن يحارب بعضهم بعضًا لئلا يلتفتوا إلي محاربة الشياطين إن كفوا عن محاربة أنفسهم.

٥. أما الذين يتتلمذون للمسيح فإنهم لا يحاربون بعضهم بعضًا بل يتجندون ضد الشياطين بأخلاقهم الفاضلة، وأعمالهم المجيدة، فيهزمونها ويهزأون بالشيطان رئيسها. لهذا نجدهم في شبابهم يكبحون جماح أنفسهم، وفي التجارب يحتملون، وفي الأتعاب يثابرون، وإن شُتموا يصبرون، وإن صُلبوا يستخفّون بالأمر. والمدهش أنهم يحتقرون حتى الموت، وفي سبيل المسيح يستشهدون.

الفصل الثالث والخمسون

قد هبطت إلى أسفل السافلين كل عملية العبادة الوثنية بضربة واحدة من المسيح، إذ تحدث سرًا إلى ضمير الإنسان

١. ولنذكر برهانًا واحدًا - عجيبا جدًا - على لاهوتية المخلص فنقول : هل استطاع مجرد إنسان، أو ساحر، أو طاغية، أو ملك، أن يُنازل بنفسه كل هؤلاء، ويحارب ضد كل عبادة وثنية، وكل جنود الشياطين، وكل سحر، وكل حكمة اليونانيين، إذ كانت في شدة القوة والازدهار، باسطة نفوذها على الجميع، واستطاع أن يوقفها كلها عند حدها بضربة واحدة، كربنا كلمة الله الحقيقي، الذي إذ يفضح خطأ كل إنسان بشكل غير منظور، يختطف بنفسه كل البشر منها كلها، حتى أصبحوا الآن يدوسون الأوثان، بعد أن كانوا يعبدونها، والذين اشتهروا بسحرهم يحرقون كتبهم، والحكماء يفضلون تفسير الأناجيل على كل دراسة؟

٢. وتلك التي اعتادوا عبادتها صاروا الآن يهجرونها، وذاك الذي اعتادوا أن يهزأوا به كمصلوب صاروا الآن يعبدونه مسيحًا معترفين به إلهًا. وتلك التي كانت آلهة بينهم صارت تُغلب بعلامة الصليب، والمخلص المصلوب صار يُنادى به في كل العالم إلهًا وابن الله، والآلهة التي كان يعبدها اليونانيون قد ضاع صيتها بينهم على مرأى أو مسمع منهم، ككائنات شائنة. أما الذين يقبلون تعليم المسيح فإنهم يعيشون حياة أكثر عفة منهم.

٣. فإن كانت هذه وأمثالها أعمالاً بشرية، فليبين لنا -من أراد- أعمالاً مماثلة صنعها البشر في سالف الزمن، وبذلك يقنعنا. أما إذا ثبت أنها ليست أعمال البشر بل أعمال الله - وهي فعلاً كذلك - فلماذا يضل غير المؤمنين، ولا يدركون السيد الذي عملها؟

٤. لأن مثلهم مثل إنسان عجز عن أن يعرف -من أعمال الخليقة- الله خالقها. لأنهم لو عرفوا لاهوته من سلطانه على الكون، لأدركوا أنِ أعمال المسيح التي عملها في الجسد ليست بشرية، بل هي أعمال مخلص الكل، كلمة الله. ولو عرفوا ﴿... لما صلبوا رب المجد﴾ (١ كورنثوس ٢ : ٨).

الفصل الرابع والخمسون

الكلمة المتجسد يُعرف لنا بأعماله كما هي الحال مع الله غير المنظور، وبأعماله ندرك رسالته التي يريدنا بها أن نكون آلهة. ولنكتف بذكر القليل منها، تاركين كثرتها المبهرة للأبصار، لمن يريد أن يبصر

١. وكما أنه إن أراد امرؤ أن يرى الله، غير المنظور بالطبيعة، الذي لا يُرى قط، فيمكنه أن يعرفه ويدركه من أعماله، كذلك يجب على من يعجز عن رؤية المسيح بعقله وفهمه، أن يدركه على الأقل من أعمال جسده، ويفحص إن كانت أعمالاً بشرية أمْ أعمال الله.

٢. فإن كانت بشرية جاز له الاستهزاء، أما إن لم تكن بشرية بل أعمال الله فليعرف ذلك، ولا يستهزئ بما لا يستحق الاستهزاء، بل بالحري ليدهش لأنه بوسائل عادية كهذه أُعلنت لنا الإلهيات، ولأنه بالموت وصل عدم الموت إلي الجميع، ولأنه بتأنس الكلمة عُرفت العناية العامة، كما عُرف واهبها وبارئها، كلمة الله نفسه.

٣. لأنه "تأنس" صار إنسانًا لكي نصير نحن شركاء الطبيعة الإلهية[1]*، وأظهر نفسه في جسد، لكي يعطينا فكرة عن الآب غير المنظور، واحتمل من البشر الإهانة لكي نرث نحن عدم الموت. لأنه إذ لم يمسسه أي ضرر، إذ هو غير قابل للألم أو الفساد، وهو ذات "الكلمة"، وهو الله. فإن البشر الذين كانوا يتألمون والذين لأجلهم احتمل كل ذلك، قد خلصهم وحفظهم مثله في حالة عدم التألم.

---

[1] *أنظر ٢بطرس ١: ٤، عبرانيين ٢: ٩، مزمور٨٢ : ٦.

٤. وبالإيمان بأن أعمال المخلص، التي نشأت من تأنسه، جليلة جدًا في نوعها، وعظيمة المقدار في عددها، حتى أنه إن أراد أحد إحصاءها لصار مثله مثل الذين يحدقون في سعة البحر ويحاولون إحصاء أمواجه. لأنه كما أن المرء لا يستطيع أن يحد كل الأمواج ببصره، إذ الأمواج القادمة تبلبل ذهن كل من يحاول ذلك، هكذا من يحاول أن يحيط بكل أعمال المسيح في الجسد، لأنه من المستحيل أن يدركها كلها حتى بإحصائها، إذ أنها تفوق ذهنه أكثر من تلك التي يظن أنه قد استوعبها.

٥. إذن فالأفضل أن لا تفكر في التحدث عنها كلها ما دام المرء يعجز عن أن يوفي جزءًا بسيطًا منها. على أنني أكتفي بذكر عمل واحد آخر من أعماله، تاركًا لك التأمل في الباقي والتعجب منه، لأنها كلها عجيبة على السواء، وأينما وجه الإنسان بصره إليها استطاع أن ينظر إلي لاهوت "الكلمة"، وتملك عليه الذهول الشديد.

الفصل الخامس والخمسون

ملخص لما سبق. إبطال العرافة الوثنية ... الخ وانتشار الإيمان. لقد جاء الملك الحقيقي وأسكت كل المغتصبين

١. إذن يحق لك أن تتحقق مما قلناه إلي الآن، وتتعجب جدًا من خلاصة ما سبق أن قررناه – وهو، أنه منذ مجيء المخلص إلينا لم يبطل نمو العبادة الوثنية فحسب، بل إن ما كان موجودًا منها فعلاً بدأ يتناقص، وبالتالي يتلاشى تدريجياً، ولم يبطل تقدم الحكمة اليونانية فحسب، بل إن ما كان موجودًا منها الآن يذبل، والشياطين لم تعد بعد قادرة على خداع أحد بالتخيلات والنبوات والسحر، وإن تجاسرت وحاولت ذلك أُخجلت بعلامة الصليب.

٢, ولتلخيص الموضوع نقول: انظر كيف أن تعليم المخلص يزداد انتشارًا في كل مكان، بينما كل عبادة وثنية، وكل ما يناقض إيمان المسيح، يتضاءل كل يوم، ويضعف، ويتلاشى. وأنت إذ تنظر ذلك تعبد المخلص الذي هو فوق الكل، المقتدر، أي الله "الكلمة"، وتشجب تلك التي غلبها وأبادها.

٣. لأنه كما أن الشمس إن أشرقت لا تستمر الظلمة بعد، وإن بقي منها شيء في أي مكان تتبدد، هكذا الآن إذ حل الظهور الإلهي لكلمة الله، فإن ظلمة العبادة الوثنية لا تستمر بعد، وصارت كل أرجاء العالم في كل جهة تستنير بتعليمه.

٤. وكما أنه إن كان ملك يحكم على مملكة ما دون أن يظهر لشعبه بل يلازم بيته، فإن الأشخاص المشاغبين كثيرًا ما ينتهزون فرصة عزلته، ويعلنون عن أنفسهم، ويتظاهر كل منهم بصفات الملك، محاولاً التأثير على البسطاء وإقناعهم بأنه ملك،

وهكذا ينخدع الناس باسمه، لأنهم إن كانوا يسمعون أن هنالك ملكًا فإنهم لا يرونه لعدم استطاعتهم الدخول إلي بيته أو لأي سبب آخر. ولكن عندما يخرج الملك الحقيقي ويظهر، فحينئذ يفتضح أمر أولئك المشاغبين بظهوره. وإذ يرى الناس الملك الحقيقي يهجرون أولئك الذين سبق أن أضلوهم.

٥. هكذا الحال أيضًا، فإن الأرواح الشريرة اعتادت سابقًا أن تُضل البشر منتحلة لنفسها كرامة الله. ولكن عندما ظهر كلمة الله في الجسد، وعرّفنا بأبيه، حينئذ بطلت وتبددت غواية الأرواح الشريرة أخيرًا، وإذ بدأ البشر يحولون أنظارهم إلي الإله الحقيقي، كلمة الآب، صاروا يهجرون الأصنام، وبدأوا الآن يعرفون الإله الحقيقي.

٦. والآن هذا برهان على أن المسيح هو الله "الكلمة وقوة الله" لأنه إن كانت الأمور البشرية تبطل وكلمة المسيح تثبت، فواضح لكل الأنظار أن ما يبطل وقتيّ، أما مَن يَثبت فهو الله وابن الله الحقيقي، كلمته الوحيد.

الفصل السادس والخمسون

إذن فتش الكتب إن استطعت، وبذلك تتمم هذا البحث. تعلم أن تترقب مجيء المسيح الثاني ويوم الدينونة

١. إذن لتكن رسالتنا هذه هي تقدمتنا إليك أيها الإنسان محب المسيح، كبيان أولي موجز عن الإيمان بالمسيح، وعن ظهوره الإلهي لنا. ولكنك، إذ تنتهز فرصة هذه الرسالة، وتقف على نص الكتب المقدسة، بالتعمق بفكرك فيها بإخلاص، فإنك تتعلم منها، بأكثر استيفاء ووضوح، التفاصيل الكاملة لما قلناه.

٢. لأن الله نطق بها ودّونها على أيدي أناس مسوقين من الله. ونحن بدورنا نبلغك ما تعلمناه من المعلمين الملهمين الذين كانوا يعيشون معهم، والذين استشهدوا أيضًا من أجل لاهوت المسيح، وذلك لكي تزداد غيرة في الدرس والاضطلاع بدورك أنت أيضًا.

٣. ولكي تتعلم أنت أيضًا عن ظهوره الثاني الإلهي الحقيقي المجيد لنا، حيث لا يظهر بعد في اتضاع بل في مجده، ولا يظهر بعد متخفياً متواضعًا بل في عظمته. وهو سيأتي، لا لكي يتألم ثانية، بل ليقدم للجميع ثمار صليبه، أي القيامة وعدم الفساد، ولا لكي يُحكم عليه بعد بل لكي يحكم على الجميع حسبما صنع كل واحد في الجسد، خيرًا كان أو شرًا، حيث أعد للصالحين ملكوت السموات، أما الذين عملوا السيئات فالنار الأبدية والظلمة الخارجية، فالحسنات لا تُذهبنّ السيئات، بل الاحتياج الحقيقي هو لعمل المسيح الكفاري على الصليب (اطلب كتاب كفارة المسيح – للأخ عوض سمعان).

٤. لأنه هكذا يقول الرب نفسه أيضًا ﴿... من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسًا عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء ﴾ (متى ٢٦: ٦٤).

٥. ولهذا السبب عينه نجد أيضًا كلمة المخلص تُعدّنا لذلك اليوم إذ يقول: ﴿اسهروا إذًا لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربكم﴾ (متى ٢٤ : ٤٢، وانظر أيضًا مرقس ١٣: ٣٥) وكما قال المغبوط "بولس" ﴿... لابد أننا جميعًا نظهر (نقف) أمام كرسي المسيح لينال كل واحدٍ بحسب ما صنع في الجسد ... لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع- خيرًا كان أم شرًا﴾ (٢كورنثوس ٥: ١٠).

الفصل السابع والخمسون

وفوق كل شيء عش الحياة التي تؤهلك للأكل من هذه الشجرة، شجرة المعرفة والحياة، وهكذا تأتي إلى الأفراح الأبدية، (تسبحة شكر)

١. على أن تفتيش الكتب، ومعرفتها المعرفة الحقيقية، يتطلبان حياة فاضلة، ونفسًا طاهرة، والفضيلة التي بالمسيح. حتى إذا ما استرشد بها العقل، وأنار بها طريقه، استطاع أن يصل إلى ما يصبو إليه، ويدركه حسبما تستطيع الطبيعة البشرية أن تتعلمه من كلمة الله.

٢. لأنه بدون الذهن النقي، ومماثلة سيرة القديسين، لا يستطيع الإنسان أن يدرك أقوال القديسين.

٣. إذ كما أنه إن أراد أحد أن يبصر نور الشمس، فإن عليه أن يمسح عينيه، ويجليهما، مطهرًا نفسه على مثال ما يبتغيه، حتى إذا استنارت العين استطاعت أن تبصر نور الشمس، أو كما أنه إن أراد أحد أن يرى مدينة أو قرية، وجب عليه أن يأتي إليها لكي يراها، هكذا أيضًا يجب على من يريد أن يدرك فكر الذين يتكلمون عن الله أن يبدأ بغسل وتنظيف نفسه، وبتغيير مجرى حياته. ولكن الإنسان لا يستطيع ذلك من نفسه. إذ أخطأ الجميع (رومية ٥: ١٢)، فعلى الإنسان أن يفتح قلبه لعمل الله في حياته (رؤيا ٣: ٢٠)، فينال التبرير بالإيمان ويصبح في سلام حقيقي مع الله (رومية ٥: ١)، بل ويصبح ابنًا روحياً لله (يوحنا ١: ١٢)، فينجو من خطر الخطاة ونارهم، وينال ما أُعد للقديسين في ملكوت السموات ﴿ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ...﴾ (١كورنثوس ٢: ٩)، ذلك ما أعده الله للذين يعيشون حياة فاضلة بقوة عمل المسيح في قلوبهم.

﴿... عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد...﴾

(١تيموثاوس ٣: ١٦)

* تفرّد المسيح بأنه كلمة الله الأزلي المتجسد. لماذا؟!!!

* لم يكن ممكنًا أن يتأله الإنسان ليتصل بالله. فالله بنفسه اختار طوعًا أن يتجسد.

* الله الكلمة اتخذ جسدًا !!!

* ففي المسيح حل كل ملء اللاهوت جسدياً.

* الله نور لا يُدْنى منه، والمسيح هو صورة الله غير المنظور.

* بل والمسيح هو كلمة الله الذي حمل كل سلطانه ومثّله لنا.

* الله محبة، والمسيح هو تجسيد محبة الله لكل البشر وقد أظهر الله محبته في الصليب، فتم الفداء، وفتحت أبواب الخلود لمن يقبل عمل الله في المسيح لأجل خلاص نفسه.

الدكتور/ داود رياض أرسانيوس

(دكتوراه الفلسفة في اللاهوت المقارن .Ph. D)

* تفرد المسيح بأنه كلمة الله
الأزلي المتجسد لماذا ؟!!

* لم يكن ممكناً أن يتأله
الانسان ليتصل بالله ،
فالله بنفسه اختار طوعاً أن
يتجسد

* الله الكلمة اتخذ جسداً !!

* ففي المسيح حل كل ملء
اللاهوت جسدياً .

* المسيح كلمة الله الذى حمل
كل سلطانه ومثّله لنا .

* الله نور لا يدنى منه
والمسيح هو صورة الله
الغير منظور .

* ﴿ عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد ﴾ « ١تى ٣ : ١٦ »





دار النشر الأسقفية